
الأخبار الغريبة في ذكر ما وقع
بطيبة الحبيبة

صف وطبع هذا الكتاب بمكتبة الخانجى
ص . ب ١٣٧٥ القاهرة

الطبعة الأولى

١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

من تراث طيبة الطيبة

الأخبار الغريبة في ذكر ما وقع بطيبة الحبيبة

السيد جعفر بن السيد حسين هاشم المدني
الإمام والخطيب في المسجد النبوي
المتوفى (١٣٤٢هـ)

بِسْمِ اللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُوا ٱلدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قبلهم يُحبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلٰئكَ هم ٱلْمُفلِحُونَ ﴾ .

[سورة الحشر آية ٩] .

وَقَالَ رَسُولُ الله – ﷺ – :

« لَا يكيد أَهْلَ المَدِينةِ أَحد إِلَّا انْماع كَمَا ينمَاع المِلْح فِى المَاءِ » .

[أخرجهُ البُخاريُ ومُسْلِمٌ] .

وَقَالَ كَذلك – ﷺ – :

« الْمَدِينةُ كَالكِير تنْفى خَبثَهَا وَيَنْصَع طِيبهَا » .

[أخرجهُ البُخَارىُ ومُسْلِمٌ]



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين ، وخاتم المرسلين ﷺ ، اللهم صلِّ عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .... وبعد

فهذا كتاب من الكتب التى تناولت مرحلة زمنية من المراحل التى عاشتها المدينة المنورة ، وحوادث عديدة فى فترة القرن الثانى عشر الهجرى ، والتى لم تحظ بالدراسة العلمية الوافية رغم أهميتها .

ومن هنا علل المؤلف فى مقدمته للكتاب الدافع الذى من أجله جمع وصنف مؤلفه هذا فتراه يقول : « إنى لما وقفت على مسودة تاريخ المرحوم العالم الفاضل والجهبذ الكامل الخطيب : عبد الرحمن بن حسين بن الشيخ على الأنصارى المدنى ... فوجدته مخروماً من عدة جهات ، وفيه من النوادر واللطائف والوقائع التى وقعت فى المدينة المنورة مالا يوجد فى غيره من المؤلفات ؛ لكونه مدنيا ؛ وصاحب الدراري ، فالتعويل عليه فى النقل أحق من غيره وأحرى ، فجمعت منه ما أمكننى جمعه فى هذه الرسالة ، واختصرت فى بعض الأماكن ... وضممت إليها بعض نقول نقلتها عن العلماء الأعلام ... » [1] .

والكتاب بحق يعتبر من هذا الجانب له أهمية كبيرة ، لأنه يتناول أحداث وتأريخ للمدينة الطاهرة طيبة الطيبة ، ومن هذه الفتن والأحداث التى ذكرها المؤلف نرى كيف امتحنت هذه المدينة النبوية ، وكيف أنها قد عاشت فترة من

---

(١) انظر : مقدمة المؤلف .

الفتن والفساد ، وكيف انتصر الحق على الباطل ، وسوف نرى أن كل من أرادها بسوء أذابه الله كما يذاب الملح فى الماء ، وكيف أنها تنفى خبثها كالكير .

وقد ذكر المؤلف أهم الحوادث التى وقعت فى الفترة الزمنية لعام ١١١١ هـ وحتى ١٢٠٣ هـ ومن هذه الحوادث والفتن ما يلي :

– الفتنة الواقعة بين أهل المدينة وبني علي سنة ١١١١ هـ .

– فتنة العهد التى وقعت زمن شيخ الحرم « أيوب أغا » بين الأغوات وأهل المدينة سنة ١١٣٤ هـ .

– فتنة بشير أغا ، بين أغوات الحرم النبوى الشريف ، وأهل المدينة ، وشاركت فيها بعض القبائل مثل قبيلة حرب سنة ١١٤٨ هـ .

– فتنة عبد الرحمن أغا الكبير ، أو فتنة كابوس وذلك سنة ١١٥٥ هـ .

– فتن أخرى وقعت فيما بين سنة ١١٨٧ هـ إلى سنة ١١٩٤ هـ .

ومما يؤخذ على الكتاب :

عاش المؤلف فى فترة حكم الأتراك ، وتسرب الضعف إلى أمور كثيرة وجوانب من الحياة ، مثل ضعف أساليب اللغة العربية ، فاستعمل المؤلف كثيراً من المصطلحات والألفاظ التى كثيراً ما بعدت عن الفصيح فى اللغة العربية ، وعدم اتباع قواعد اللغة ، ولجأ المؤلف إلى استخدام عبارات عامية كثيرة .

ومما يؤخذ كذلك على الكتاب عدم ترابط موضوعاته .

ويؤخذ على الكاتب عدم تثبته من بعض الروايات التاريخية التى ذكرها مؤلفون سابقون كنقله العشوائى لبعض القصص ، التى ذكرها الشاعر « ابن عنبة فى ديوانه ، أو فى كتاب عمدة الطالب » .

أهمية الكتاب

لقد اطلع الدكتور عاصم حمدان علي : على مخطوطة كتاب الأخبار الغريبة ، وعقد له فصلًا فى كتابه : « المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ » ، وألخص ما جاء به فى كتابه هذا عن الكتاب الذى بين أيدينا .

• تنبع قيمة الكتاب العلمية من تتبع الكاتب للحوادث التاريخية فى المدينة فى فترة القرن الثانى عشر الهجرى والتى لم تحظ بالدراسة ، وتكتسب هذه الفترة أهميتها من العوامل التالية :

– ظهور عدد من الدعوات فى العالم الإسلامى ، ولقد كانت المدينه المنورة بحكم قدسيتها مركزاً دينيا هاماً ، تلقى العديد من الشخصيات الفكرية فى مسجدها الشريف جزءاً من دراستهم العلمية على يد بعض علمائها ...

– وقع المجتمع المدنى تحت تأثير تغيرات اجتماعية كثيرة فى هذه الفترة الزمنيه بسبب عامل الهجرة من جميع أنحاء العالم الإسلامى ، ولعل فى ذلك ما يلقى الضوء على ذلك الاتجاه العلمى الذى ظهر لدى بعض أدباء المدينة فى تلك الفترة ..

– شهدت هذه الفترة صراعاً شديداً بين المواطنين وبين المسئولين عن إدارة شئونها الذين كانوا أغوات يتولون مشيخة الحرم النبوى الشريف ، ويبدو أن الدولة العثمانية كانت تتولى تعيين هؤلاء الأغوات الذين لم يحسنوا فى فترة القرن الثانى عشر الهجرى تصريف أمور البلدة المقدسة .

– لقد كانت فترة القرن الثانى عشر الهجرى فترة متميزة من حيث الإنتاج العلمى حيث ساهم هؤلاء الأدباء فى امداد القصيدة العربية بزخم شعرى جديد ، كما حافظوا على شكلها التقليدى [1] .

---

(١) انظر : المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ ١٢٤ بتصرف .

وفى الكتاب فوائد أخرى غير ذلك سوف يلمسها القارىء والباحث فى تاريخ المدينة .

هذا ، ونسأل الله عز وجل أن يرزقنا الإخلاص فى القول والعمل ، وأن ينفعنا بما علمنا وينفعنا بما علمنا ، إنه نعم المولى ونعم النصير ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

مرزوق على إبراهيم

فى المدينة النبوية ١٤١٢/٩/٣ هـ .

ترجمة المؤلف

اسمه وولادته وفاته :

لم أتمكن من معلومات كافية ومصادر لترجمة المؤلف إلا فى مصدر واحد وهو كتاب : « المدينة المنورة فى التاريخ » لعبد السلام هاشم حافظ .

فاسمه : السيد جعفر بن السيد حسين بن السيد يحيى هاشم الحسينى المدني .

وقد كانت **ولادته** بالمدينة المنورة ، وكانت **وفاته** بالمدينة كذلك ، وكانت سنة ١٣٤٢ هـ الموافق لعام ١٩٢٣ م كما ذكر صاحب كتاب : « المدينة المنورة فى التاريخ » .

علمه : قال عنه الأستاذ عبد السلام هاشم : كان واحداً من أدباء المدينة ، وأنه ترك مؤلفاً فى تاريخ المدينة .

أما عن **أسرته ونسبه** : فهم بيت علم وفضل كما ذكر صاحب كتاب « تحفة المحبين » فى ترجمته **لبيت هاشم** ، فأصلهم السيد هاشم بن السيد إبراهيم الموسوى الرومى الحسائى ، وقد قدم إلى المدينة المنورة فى سنة ١٠٧٠ هـ وكان رجلًا كاملًا عاقلًا ، ثم اختار المجاورة بالمدينة ، فكان من أحسن المجاورين سيرة وسريرة ، وكان ملازماً للصلوات إلى أن مات ... وذكر عدداً من أولاده وكلهم على درجة من الصلاح والنشأة الطيبة ، وتقلدوا المناصب الرفيعة فى المدينة المنورة آنذاك [١] .

* * *

(١) تحفة المحبين ٤٨٧ ومابعدها .

وصف مخطوطة الكتاب

اعتمدت فى تحقيق هذا الكتاب على مخطوطة وقف جعفر حسين هاشم الحسيني مؤلفها من أحد مكتبات آل هاشم بالمدينة المنورة ، وقد أُتى إلىَّ بها عن طريق أحد الإخوة الأفاضل ، وعدد صفحاتها ٨٤ صفحة من القطع المتوسط ، ومسطرتها ٢١ سطراً فى المتوسط ، أما عدد كلماتها فهو ١٠ كلمات فى كل سطر على وجه التقريب .

وقد نسخت هذه المخطوطة بخط واضح قريب العهد بنا فى القرن الحادى عشر الهجرى وعلى وجه التحديد سنة ١٠٣٦ هـ ، أما ناسخها فهو مؤلفها وجامعها : جعفر بن السيد حسين بن يحيى هاشم الحسينى المدنى ، كما ثبت ذلك فى نهاية المخطوطة .

وازدانت حواشى بعض صفحات هذه المخطوطة بالتعليقات المفيدة والنافعة لما حواه النص من إشكالات .

وفيما يلى نماذج لبعض صفحات هذه المخطوطة :

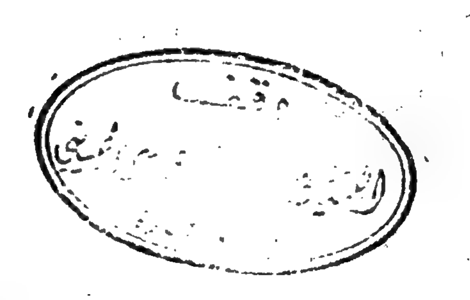
الاخبار الغريبه في ذكر ما وقع بطيبة الحبيبه
نسخة ثانيه

١

الأخبار الغريبة في ذكر ما وقع بطيبة الحبيبة

اثر

فخر الاعيان الاماثل وقرة عيون السادة
الاماثل السيد جعفر بن السيد حسين
هاشم الامام والخطيب
في المسجد النبوي
رحمهما الله
تعالى



"أشرف على تعليقه في وضعه الراهن
١ / ١ / ١٤١٢
هاني بن السيد ابراهيم هاشم"

صفحة العنوان من المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الدائم وما سواه فان • والصلاة والسلام على سيدنا محمد
سيد ولد عدنان • وعلى آله نجوم الهدى • واصحابه انهار الدين الذين من اقتدى بهم
اهتدى • وبعد فيقول المفتقر الى رحمة مولاه الغني جعفر بن الخطيب السيد حسين
ابن المرحوم السيد يحيى هاشم الحسيني المدني • اني لما وقفت على مسودة تاريخ المرحوم العالم
الفاضل والجهبذ الكامل الخطيب عبد الرحمن بن المرحوم حسين بن المرحوم الشيخ علي الانصاري المدني
رحمه الله تعالى رحمة الابرار واسكنه جنات تجري من تحتها الانهار • بخطه فوجدته مخروما
من عدة جهات • وفيه من النوادر واللطايف والوقايع التي وقعت في المدينة المنورة
ما لا يوجد في غيره من المؤلفات • لكونه مدنيا وصاحب الدار ادرى •
فالتعويل عليه في النقل احوط من غيره واحرى • فجمعت منه ما امكنني جمعه
في هذه الرسالة • واختصرت في بعض الاماكن ذكر بعض اشيا فقلت
الى ان قال خوف الاطالة • وضممت اليها بعض نقول نقلتها عن العلماء
الاعلام • وكل نقل عزوته الى صاحبه وكتبت تحته انتهى
خوف الملام • ولست انا بمؤلف وانما انا جامع لما قالوه • والعهدة
عليهم فيما سطروه ونقلوه • وسميتها
الاخبار الغريبة • في ما وقع بطيبة الحبيبة
واسئله التوفيق • لاوضح طريق •

(تسع وتسعين ومائة والف   (ثلاث بعد المائتين والألف

الى ان قال رحمه الله تعالى ثم تولى مشيخة الحرم محمد جوهر اغا دار السعادة ١١٩٩ واستمر في المنصب الى ان توفي ١٢٠٣ وفي ايامه
على راس المائتين حدثت فتنة عظيمة بين عساكر المدينة وسببها ان بعض محبي الفتنة اشار عليه بعزل كتخدا نوبجتيان احمد رجب
ونصب عبد الله مديني ففعل ووقعت المشاحنة بين الوجاقات وتعصب كثير من النوبجتيه برد الكتخدا احمد رجب وساعدهم
على ذلك اهل القلعة ولما راى الكتخدا احمد رجب زيادة الحال تعفف عن المنصب وطلع الى قبا اطفاء لنار الفتنة وكان قاضي
المدينة المنورة في هذه السنة اسماعيل ٨٠ افندي كاتب زاده وكان رجلا مباركا فصار يتفوه ويقول والله اما حكمي بالمدينة
لا تقع فتنة فيها ابدا فكانت الامر كذلك الى ان توفي رحمه الله ففي يوم وفاته ضحوة النهار ما فطن الناس الا واهل القلعة
ومن في طرف احمد رجب نزلوا (حينما) ٨٤
الحكمة السلطانية ومدرسة باب الرحمة
ومسكوا المسجد وجميع ما حوله
واطلقوا على اولئك الطائفة رميا
بالبنادق وعاما وكادوا يضبطوا المنارة
واثاروا على جميع ما بها الغارة ولما
وصل الخبر الى شيخ الحرم خرج من بيته
مدهوشا وقال اذهبوا اليهم وارضوهم
بما يكون ليطفئوا نار الحرب فان كان
يرضيهم قتلي اسلم لهم نفسي وان كانوا
يسفروني سافرت في هذا اليوم
فذهب اليهم وسايط الخير وقالوا لهم
بذلك فقالوا كل ذلك لا نريد
وانما طلبتنا يسيرة ويدنا عن طلب
مثل ذلك في حقه قصيرة بل يعزل
عبد الله مديني من المنصب وينصب
احمد رجب فقال ايتوني به فانزلوه
من مكانه ونصبه
ورقة النوبه
وتوجه كل منهم
الى منزله وطفيت الفتنة في تلك
الساعة كانها لم تكن وفتحت
الدكاكين وحصل البيع والشرا
فانظر الى كرامة هذا القاضي
ولطافة هذا الاغا رحمهما الله
وايانا اجمعين انتهى ما اردت جمعه
في هذه الرسالة وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم صح

لما صروه بها من بعد ما منعوا ... عليه ماء وزادوا وهو في ملل
فحينما قد راى عجزا به طلب ... أمان منهم فاعطوهم بلا مهل
فاخرجوهم بلا ضر ولا نكد ... مع الأمان واجاروهم بلا جدل
فحين اسمع ذي كالأخبار سيدهم ... انغاظ حتى امتلا بالهم والعلل
فأرسل الجردة التعسا لا ظفرت ... لأهل طيبة في جمع من الهمل
فقابلوهم رجال الحرب في دشم ... في معرك من صياح الحرب في زجل
كم انزلوا فارسا بالعزم من فرس ... كم قتلوا منهم يا صاح من رجل
كروا عليهم ففروا حينما علموا ... من ان قربهم يدني الى الأجل
وذاك في عام الف بعده مائة ... من قبل اربع مع تسعين ان تسل
بذاك عن طيبة قد زال ملكهم ... فهل سمعت بملك غير منتقل
لكن بحمد اله الخلق خالقنا ... جاءت لنا نجدة من مالك الدول
سلطاننا تملك العالي وما لكنا ... عبد الحميد مليك الوقت خير ولي
منها القلوب لقد سرت وقد فرحت ... والناس ملآنة بالأنس والجذل
هبت بناديه ريح النصر عاطرة ... على الدوام مدى الأبكار والأصل
ودام في الملك تأتينا بشائره ... ما اهطلت سحب دمعا على طلل ٢

وكان الفراغ من جمعها صبح يوم الثلاثا غاية ذي الحجة الحرام ختام سنة ست
بعد الثلاثمائة والألف بقلم جامعها الفقير اليه عز شانه جعفر بن السيد حسين بن المرحوم
السيد يحيى هاشم الحسيني المدني غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولجميع المسلمين آمين

الصفحة الأخيرة من المخطوط



الأخبار الغريبة فى ذكر ما وقع

بطيبة الحبيبة

للسيد جعفر بن السيد حسين هاشم المدنى

الإمام والخطيب فى المسجد النبوى

المتوفى (١٣٤٢ هـ)



بِسْمِ اللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الدائم وما سواه فَانٍ ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ولد عدنان ، وعلى آله نجوم الهدى ، وأصحابه أنصار الدين الذين مَنْ اقتدى بهم اهتدى . وبعد ...

فيقول المفتقر إلى رحمة مولاه الغنى : **جعفر بن الخطيب السيد حسين بن المرحوم السيد يحيى هاشم الحسينى المدني** [1] إنى لما وقفت على مسودة تاريخ المرحوم العالم الفاضل والجهبذ الكامل الخطيب : **عبد الرحمن بن المرحوم حسين ابن المرحوم الشيخ على الأنصاري المدني** [2] رحمه الله تعالى رحمة الأبرار وأسكنه جنات تجري من تحتها الأنهار ، بخطه ، فوجدته مخروما من عدة جهات وفيه من النوادر واللطائف والوقائع التى وقعت فى المدينة المنورة مالا يوجد فى غيره من المؤلفات ؛ لكون مدنياً وصاحب الدرارى [3] فالتعويل عليه فى النقل أحق من غيره وأحرى ؛ فجمعت منه ما أمكننى جمعه فى هذه الرسالة ، واختصرت فى بعض الأماكن ذكر بعض أشياء من غير تغيير لألفاظه السيالة ، وأساليبه العَسَّالة ، فقلت إلى أن قال خوف الإطالة ، وضممت إليها بعض نقول نقلتها عن العلماء الأعلام ، وكل نَقْلٍ عزوته إلى صاحبه وكتبت تحته انتهى خوف الملام ، ولست أنا بمؤلف ، وإنما أنا جامع لما قالوه والعهدة عليهم فيما سَطَّروه ونقلوه وسميتها : **« الأخبار الغريبة فى ذكر ما وقع بطيبة الحبيبة »** وأسأله التوفيق لأوضح طريق .

---

(١) انظر : ترجمته فى المقدمة .

(٢) نشأ فى بيت علم وفضل ، وهو ينتمى إلى بيت الأنصارى ، نسبة إلى الأنصار وإليهم ينتسب كثير . انظر : تحفة المحبين ٧ ومابعدها .

(٣) فى المخطوط : « الدرادرى » وما أثبتناه هو الصواب . والدرارى : اللآلى ، والدُّرَّة : اللؤلؤة ، أي : أنه صاحب نفائس وكتب قيمة .

ذكر الفتنة الواقعة بين أهل المدينة وبني علي سنة ١١١١ هـ

قال المرحوم العالم الفاضل الخطيب : عبد الرحمن بن حسين الأنصاري المدني رحمه الله تعالى فى تاريخه فى **الفصل السابع** فى ذكر مشايخ الحرم ، ومن خطه نقلت ما نصه : ثم ولى مشيخة الحرم **شاهين أحمد أغا** وذلك فى حدود سنة ١١٠٨ هـ ثمان بعد المائة والألف وفى أيامه حصلت الواقعة العظيمة بين بني علي وأهل المدينة فى حرة بني قريظة سنة ١١١١ هـ أحد عشر بعد المائة والألف ، خرج خلفهم أهل المدينة بالسلاح والعدد والأمداد والمدد ، وأذرعوهم قتلا ونهبا وأسراً وسلباً ، إلى أن أوصلوهم إلى أقصى حرة بني قريظة ، وكان معهم **شاهين أحمد أغا** المذكور ، ثم إنه أمرهم بالرجوع فقالوا له : إنَّ هؤلاء كفار **ولايفيدنا معهم إلا استئصالهم** ، فغضب وقطع جميع ما معهم من المياه ورجع بأكثر الناس ، فغلب أكثر الناس الظمأ ، وحميت عليهم الشمس ولم يلتقوا لهم ملجأ فتراجع الأعراب عليهم وخلفهم نساؤهم بالماء يحملونه لهم ، وصاروا يقتلونهم كيف شاءوا ، وأكثر قتلاهم بالظمأ ومع هذا أخذوا منهم مقدارهم سوى من ذَهب أولا ، وأعانتهم الأعراب من كل جهة ، ثم استولوا على جميع أموال أهل المدينة الخارجة عنها ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، فأصل الفساد كله من مشايخ الحرم ، ووقع بعد ذلك غير مرة منع أهل المدينة [1] ، وسيأخذ الله الحق من الظالمين ، ومن كان سببا لإهلاك المؤمنين ، ولما وصلت الأخبار للدولة العلية عزلوه وذلك فى حدود سنة ١١١١ هـ أحد عشر بعد المائة والألف ، ثم ولى مشيخة الحرم فور **أحمد أغا** وتوفى بالمدينة سنة ١١١٧ هـ سبعة عشر بعد المائة والألف ثم ولى مشيخه الحرم **حافظ محمد أغا** وفى أيامه كانت **قصة الشمامة** العجيبة فى سنة ١١١٨ هـ ثمانية عشر بعد المائة والألف وهى المعنية بقول سيدى الوالد من قصيدة هجا بها الأفندى **عبيد قدك** وطائفة **القمقمجي** كما يأتى قريبا إن شاء الله تعالى :

---

(١) يبدو أنه سقط كلام من هنا ، فالكلام غير تام . والله أعلم .

صدقت نحن الذين صحت خيانتنا   بنهب شمامة أم أنتم أفتوني
خيانة يالها دهماء مظلمة   سوادها زادها فوق السوادين

وهذه الشمامة كانت من جملة التعاليق فى الحجرة المطهرة ، فترابط ثلاثة من أغوات المسجد الموضوعين لحفظه وهم **يعقوب أغا جبلي** ، **وعبد النبي أغا** ، **وعلي إبراهيم** وأخرجوها وتصرفوا فيها فوصل **الخبر إلى الدولة العلية بذلك** ، فعزلوا شيخ الحرم وعاقبوهم .

* * *

ذكر قصة العهد سنة ١١٣٤ هـ أربعة وثلاثين بعد المائة والألف

وفى زمن شيخ الحرم **أيوب أغا** سنة ١١٣٤ هـ وقعت قصة العهد وفعلوا ما فعلوا وخبرها طويل عريض وهى مذكوره فى قصيدة السيد **جعفر** البيتى ويقال : هى أول قصيدة نظمها لأن ولادته سنة ١١١٠ هـ ، فيكون سنة فى هذا الوقت أربعة وعشرون سنة . والله أعلم .

وهذه القصيدة المشار إليها :

المجد تحت ظلال سمر الذِبْل [1] ... وظُبا القواضب والجياد القفلِ

الموديات العاديات ضوابحا ... الصافنات الزافرات [2] الجفلِ

والخوض فى غمرات بطنان النوى ... يوم التصادم فى القتام المسبلِ

وتواتر العزمات فى طلب العلا ... والفوز فى أقصى فيافي الهو جلِ

والفخر ما ترك الأعادى خشعا ... رفل المحازم كالجياد الأعزل

بين الفتى وورود أحواض الردى ... لقو العلاقم فى تراق الحوصل

لا عاش من ترضى المذلةَ نَفْسُه ... طوعا وعن شأو المفاخر يأتلى

تعِسَت حياة لا تشابُ بعزّة ... غبراء بين مهابة وتذلل

العز أجمل ما اقتناه أولى النهى ... والذل بالأحرار ليس بمجمل

من شاء إدراك المعالي فليكن ... مثل الهمام الأمجد بن الأفضل

السيد الزين الشريف **محمد** ... ذي العزم سبط المصطفى والمرسل

---

(١) فى المخطوط : « الذبل » . والدبلُ : الداهية يقال : دبلًا دبيلا ، ويقال : ذبلًا ذبيلًا ، وبالمهملة أجود . قال الشاعر :

طعان الكُماة وضرب الجياد ... وقول الحواضيين دِبْلًا دَبيلًا

انظر الصحاح (دبل) ١٦٩٤/١ و(ذبل) ١٧٠١/١ .

(٢) كتب فوق هذه الكلمة : « التافرات » ولعلها من نسخة ثانية .

وابن الكرام الطيبين أرومة ... أهل الكساء الطاهرين الكُمَّل

والحازم المقدام دحاض الردى ... دون العباد بسيفه والمقول

لا غرو فهى سجية مودوعة ... فية وشِنْشِنَةٌ [١] لِأَخْزَمَ من علي

ما زال ينكر فى المدينة منكراً ... من مرجِف أو مفسِدٍ أو مخذِلِ

وتغلبَ العربان فى أطرفها ... من كل ناحية وبغىَ بنى علي

وتغافل الحكام عما أبصروا ... من جورهم فيها وظلم الأرمَل

حتى أتى الفرج القريب وساعدت ... هماتِه الأقدارُ بالله العلى

فاستنهض الأبطال من أنصاره ... من كل شهم فى الخطوب مدلّل

يهوى إلى نهب النفوس بهمةٍ ... مقرونة بالنصر مثل الأجدل [٥]

فتعاهدوا فى الله أن يتناصروا ... فى الدين لا يخشون لوم العذّل

وحموا حماهم والديار عن العدا ... بالبيض والسمر اللّدانِ الذبل

فتذلَّلَتْ لهم البوادى عنوة ... وتَعَدَّلوا بالجد أي تعدّل

ولطالما قاسوا ليالى العسر من ... هول يذيب مرارة المتهوّل

يمسون فى حفظ المناتق [٢] كُمَّناً ... متختّلين لأخذهم فى الجندل [٣]

فهم الرجال وما سواهم نسوة ... لم يتركوا من زيّهن سوى الحُلىّ

فتشاور الفُسّاق فيما بينهم ... أن ينقضوا ما أبرموه بمبطل

---

(١) الشِنْشِنةُ : الخلق والطبيعة . قال الراجز :

شِنْشِنَةٌ أعرفها من أَخزم

أي : كأنه عاقّ ، وأخزم اسم رجل ، ويقال لكل مثقوب مخزم

انظر : الصحاح (شنن) ٥/٢١٤٦ - ٢٤٧ و(خزم) ٥/١٩١١ - ١٩١٢ .

ملحوظة : كل ما أمامه نجمة هكذا ٭ فهى من حواشى المصنف وتعليقاته .

(٥) الأجدل : الصقر .

(٢) النتق : الزعزعة والنقض

(٣) الجَنَدِلُ : الموضع فيه حجارة ، والجَنْدَلُ الحجارة.ومنه سمي الرجل . والمعنى ياويل من قد أوقعته نفسه فيهم ، فيصبح فى الحديد مكبل

فجرت هنالك صيحة (١) يرقى إلى ... أفق السماء عجاجها بل يعتلى

وطغت عليهم بعد ذلك عصبة الأ ... غوات مع أتباعهم والجهل

والأصل فى ذا أنهم قد ركزوا ... لعلى قنا(*) الغمر(*) الزنيم(*) الجِسكِلى(*)

منعوه أرباب الوجاق جميعهم ... أن يشترى فيهم ولما يدخُل

زعموا بأن له فساداً سابقا ... إذ خان قدما فى الزمان الأول

فترافعوا للشرع وانكشف الغطا ... ودعاهم القاضى ليوم مقبل

نزلوا وألقو فى المداعين الظبا ... من غير مكترث وغير معول

فتفازعت لهم الرجال أخف من ... ورد السهام إلى وَتين(*) الكلكل(*)

فهناك ولُّوا مدبرين وأتبعوا ... طعناً وضرباً كاللهيب المشعل

وأتوا إلى الحرم الشريف وأغلقوا ... الأبواب واصطعدوا المنابر والعلى

ورموا على الناس الرصاص ، ومارعوا ... جاه النبى ولا الكتاب المُنزَل

وأقام ذاك إلى الغروب وأصبحوا ... متحصنين بحلية المستقبل

فَدُعوا إلى أن يرجعوا فتعصبوا ... وأتوا بفعل منكر لم يفعل

فقضى عليهم أن تباح دماؤهم ... هدرًا لحدّ المرهفات الفصّل

وتوافق الجمهور قولا واحدا ... والنص فى طغيانهم نص جلى

فتبادرت لهم الرجال عوابسا ... من كل فحل بالثبات مسربل

فهم ببيت المالكيّ وصفّه ... ولنا عليهم صفّ بيت الحنبلي

ومشت إلى دَروانَ منهم فرقة ... فتحصنوا الحمام منه وما يلى

فهناك صبت للمنون صواعقا ... وتسعرت للموت نار القسطل

---

(١) كتب فى الحاشية : « نسخة هنالك هدة » .

(*) على قنا : اسم رجل .

(*) الغمر : الذى لم يجرب الأمور .

(*) الزنيم : المستملق فى قوم ليس منهم لا يحتاج إليه ، أو اللئيم .

(*) الجِسكل : بالكسر الولد الصغير من كل شيء .

(*) الوتين : عرق فى القلب .

(*) الكلكل : الصدر .

يوما أشد من الحديد قساوة — وأمرّ طعما من مذاق الحنظل
تركوا النواصي شيبّا فكأنه — وقعات جسَّاسٍ بقوم مهلهل
نقبوا عليهم كل دار عَنوة — واستخرجوهم منزلا عن منزل
وتداركوهم بالردى فتفجرت — أحشاؤهم مثل انفجارِ الدّمل
فتصاغرت أرواحهم مما رأوا — وجرت دماؤهم كجري الجدول
وتحققو الموت الزؤام [(١)] وسلموا — للأمر طوعاً خضعا بتذلل
فأشار قاضى الشرع كفوا أنهم — جنحوا لسلمكم بغير تَفَعّل
فأطاع من منا جميعا قوله — إذْ حيث كان أولاك عنه بمعزل
وتداركوا الخطب الجليل بحبس من — قد كان رأسا للفساد الأول
النائب الجانى ومسعود الذى — جعل المفاسد سنة لم تجعل
وبلال عنبر رأس كل مصيبة — حبكت عليهم غُمة لا تنجلي
وتلاهُمُ عبد اللطيف فأسجنوا — وهو والى درك الجحيم الأسفل
ومشت عروض الناس فيهم جملة — نحو الشريف لحل ذاك المشكل
فاهتال منهم وابتغى احضارهم — هم والخصُوم مع الشهود العدّل
ليبين بالإجماع كل مغمغم — رغما على أنف العدو المُبْطِل
وتكون حجتهم هناك قوية — غراء لم تدحض ولم تتزلزل
تأتى إلى السلطان قولا مثبتاً — أيضا ويحملها بأحسن محمد
فتوافقوا للطوع [(٢)] إذ هو واجب — ومشوا جميعا نحوه بتذلل
فإذا أتوه وحققوا ما أخذوا — عنه وصح ألقول غير تقول
فلسوف تأخذه هناك حمية — فينا بغير تهاون وتمهل
يا أيها المولى تدارك كربنا — بالغوث منك وغارة المتعجل [(٣)]
فلك البلاد مع العباد وأمرهم — وهم إليك بنسبة كالعيِّل
تأتى ويسألك المهيمن عنهم — عن كل فعل مجمل ومُفصَّل

---

(١) كتب فى الحاشية : « فى نسخة اللزام » .

(٢) كتب فى الحاشية : « نسخة : فاستمثلوا للأمر » .

(٣) كتب فى الحاشية : « نسخة : المستعجل »

فالغوث ثم الغوث إنك كهفنا نأوى له من كل أمر معضل
إن المدينة حل فيها منكر لا يرتضى والجور فيها قَدْ ملى
فلأنت أولى الناس حقا غيرة فافعل إذا ما شئت أو لا تفعل
ولأنت من بيت تقدس سره شرفا وغيرك من مناقبه خَلى
لو تسأل القبر الشريف غداتنا رجفوه بالفعل الفظيع المشكل
لأجاب أن محمداً فى طيه متوجع من فعلهم بتململ
حاشا لمختلف الملائك أن يرى مأوى البغاة وكل وغد مضلل [(١)]
الله أكبر إنها لمصيبة تبدو لغير المبصر المتأمل
تالله ما جعل المساجد معكفا إلا لمثل القانت المتبتل
أُفٍّ لقلب مؤمن لا يمتلىء غضباً وطرفا جامدا لا يهمل
فاصدع فما تأخذك لومه لائم فى الله بالحق المبين المنجلى
لا ترْثِيَنَّ إذا أتوا بِتَحَيُّل فلأنت تعرف علة المُتَحَيِّل
لولا النبى أقام فيهم [(٢)] غارة شعواء لم تبرح ولم تتحول
ما أَوْقَعَتْهُم فى الوبال نفوسهم ولكان ذاك الأمر لم يتحصل
قطعت زنانير النفاق بكبتهم ولسوف تقطع فى الزمان المقبل
لازلتم يا أهل طيبة نصرة للحق ، سمًّا للعدو المبطل
فى ظل أعتاب النبى وجاهه متسر بلين بنعمة لا [(٣)] تبدل
إنَّ النبى له عليكم غيرة حقا وإنَّ الله ليس بمهمل
فامضوا على صدق العزائم وارفضوا قول المعنف والجبان المفشل
إنا إذا أحنا علينا حادِث أو شدة أو بعض أمر معضل
قلنا اعتصام بالنبى وآله خير الورى المدثر المزمل
صلى عليه الله ما نشر الربى نشر العبير مع النسيم الشمأل

---

(١) كتب فى الحاشية : « نسخة مبطل » .

(٢) كتب فوقها : « فيها » .

(٣) كتب فى الحاشية : « نسخة لم » .

وعلى بنيهِ والصحاب [١] وآلـه الطاهريـن الراشديـن الكمّـل
ما رجع الحادى يقول محرضا المجد تحت ظلال سمر الذبل

انتهى .

قال العالم الفاضل الخطيب : **عبد الرحمن بن عبد الكريم الأنصاري المدنى رحمه الله تعالى فى كتابه « تحفة المحبين والأصحاب فى معرفة ما للمدنيين من الأنساب »** .

فأما السيد محمد بن السيد على أبي العزم العادلى : كان رجلا مباركا شيخوه [٢] أهل العهد الواقع بالمدينة المنورة المشهور ذكره سنة ١١٣٤ هـ (أربع وثلاثين ومائة وألف) [٣] فصار له صيت عظيم ، فورد الفرمان السلطانى فيه وفي جماعة العهد الذين كانوا معه ، فستره الله عز وجل بالموت قبل ورود الأمر بقليل ببركة أسلافه الصالحين فتوفى سنة ١١٣٦ هـ (ستة وثلاثين بعد المائة والألف) [٤] ، [سنة ١١١ هـ] [٥] .

وأما السيد عبد الكريم بن السيد محمد بن عبد الرسول البرزنجى : فكان خطيبا ، وتوفى شهيدا مقتولا صبراً ببندر جُدّة المعمورة ، قتله **باكير باشا** بموجب فرمان ورد من الدولة العلية بسبب فتنة العهد الواقعة بالمدينة النبوية وقد أرخه بعض الأدباء بقوله : عبد الكريم شهيداً سنة ١١٣٨ هـ ثمان وثلاثين بعد المائة والألف [٦] . انتهى .

وأما السيد حسن بن السيد عبد الكريم فمولده سنة ١١١١ [٧] وخرج

---

(١) فى نسخة : « والصحابة كلهم » .

(٢) فى تحفة المحبين : « شيّخه » .

(٣) جملة : « أربع ... وألف » ليست فى تحفة المحبين .

(٤) جملة : « ستة ... والألف » ليست في تحفة المحبين . انظر ذلك ص ٣٥٨

(٥) ما بين المعقوفين إضافة من تحفة المحبين .

(٦) تحفة المحبين ٨٨ .

(٧) فى المخطوط (١١٠٠) والمثبت من تحفة المحبين

من المدينة المنورة مختفيا فى الفتنة المذكورة أعلاه ، ودخل مصر المحروسة ، وبقى مختفيا فى بيت **السيد محمد النحّال** وإلى أن توفى سنة ١١٤٨ [١] وله تصانيف وخطب وغير ذلك .

قال العلامة الفاضل السيد أحمد بن زيني دجلان المكى رحمه الله تعالى فى كتابه : « خلاصة الكلام فى بيان أمراء البلد الحرام » ما نصه : **ذكر الفتنة التي وقعت بالمدينة بين الأغوات وأهل المدينة** سنة ١١٣٤ هـ وفى مدة ولاية **الشريف مبارك بن أحمد بن زيد سنة** أربعة وثلاثين ومائة وألف وقع بالمدينة فتنة عظيمة شهيرة بين الأغوات وأهل المدينة ونشأ عنها قتل **السيد عبد الكريم البرزنجي** المدفون بجدة المشهور « بالمظلوم » وتلك الفتنة الكلام على تفصيلها طويل وملخصها : أنَّ رجلا من توابع الأغوات يسمى **على قنا** أراد أن يستفرغ وظيفة من وظائف العسكر ويدخل فى العسكرية ، فامتنع من إدخاله كبار العسكر حيث أنه كان فى العسكرية وقعت منه خيانة وأخرج منها فلا يعاد ، وقال أغوات الحرم : لابد من إدخاله ، وطال النزاع بينهم ووافق أهل المدينة كبار العسكر فى عدم إدخاله ، ووقع بالمدينة ضجَّة واتسع الأمر حتى آل إلى القتال ، وابتدأ ذلك **على قنا** ومن كان معضداً له من الأغوات وكان معهم بعض من قبائل حرب فصعدوا منائر الحرم الشريف وترسوها وأغلقوا أبواب المسجد ، وترسوا بعض البيوت التى بجانب الحرم النبوى وعزموا على محاربه العسكر ، ومن يعضدهم من أهل المدينة فرفع كبار العسكر وأهل المدينة أمرهم إلى قاضى الشرع خوفا من وقوع الفتنة عند القبر المعظم وذهاب ما فى الحجرة من الأموال ، وما سيحدث من القتل ، وغَضَب الدولة العلية عليهم ، فأرسل قاضى الشرع للأغوات يمنعهم من الفتنة ويطلبهم للحضور إلى مجلس الشرع ، فامتنعوا من الكف ومن الحضور عند القاضى فَسجل عليهم القاضى أنهم عصاة بغاة يجب قتالهم ، فشرعت العساكر وأهل المدينة فى قتالهم وضيقوا عليهم من كل جانب ، وقتل فى تلك الفتنة أشخاص من الفريقين وعطلت صلاة الجماعة فى المسجد النبوى فجنحوا

---

(١) فى المخطوط (١١٤٥) والمثبت من تحفة المحبين ٨٨ .

للسلم ، فَامتنع العسكر وأهل المدينة إلا بعد إحضار الأغوات القائمين مع **علي قنا** وحبسهم فى قلعة السلطان بالوجه الشرعي ، ثم يرفع أمرهم إلى نائب السلطان بالحرمين الشريفين وهو الشريف **مبارك بن أحمد بن زيد** شريف مكه إذ ذاك ، فحضر خمسة أو ستة من كبار الأغوات كانوا رأس تلك الفتنة فحبسوا فى القلعة ، ورفع الأمر إلى شريف مكة المذكور فطلبهم إلى مكة لإقامة الدعوى فوصلوا إلى مكة ، وحضر معهم مفتى المدينة **السيد محمد أسعد** وجماعة من أعيان أهل المدينة فعقد الشريف **مبارك** لهم مجلساً حضره من جاء من المدينة المنورة ، وقاضى مكة ، **وإبراهيم باشا والى جدة** ، ومفاتي مكة وجماعة من علمائهم وأعيانهم ، وأقيمت الدعوى وثبت الخطأ على الأغوات ، فأمر **الشريف مبارك** بحبسهم فى داره إلى أن يرفع الأمر إلى الدولة العلية ويأتى الجواب ، فجاء الجواب من الدولة العلية بتنفيذا الحكم الذى حكم به قاضى المدينة على الأغوات ، وأجروا عليهم العقوبات المحكوم بها : من العزل لبعضهم ، والنفى لبعضهم ، ثم ما زال الأغوات يسعون فى الانتقام من أهل المدينة بسبب هذه الحادثة ووسطوا لذلك الوسائط ، ورحل بعضهم إلى أبواب السلطنة بنفسه حتى انتقموا من كثير منهم ، وكان من جملة من اتهم بدخوله مع أهل المدينة فى هذه القضية : **العالم الفاضل السيد عبد الكريم بن السيد محمد البرزنجي وابنه الفاضل : السيد حسن** ، وكان الأغوات عرضوا إلى الدولة جميع أسماء أولئك الجماعة الذين اتهموهم فى الدخول فى تلك الفتنة فجاء الأمر من الدولة بقتل بعض أشخاص ونفى آخرين فكان **السيد عبد الكريم وابنه السيد حسن** من جمله المأمور بقتلهم ، ففر ولده قبل مجيء الأمر إلى مصر وبقى **والده السيد عبد الكريم** بالمدينة ، فصعب عليهم قبض بالمدينة فحسن له بعض اعدائه الخروج من المدينة إلى مكة المشرفة والإقامة بها فلما وصل إلى مكة قبض عليه وزير جده **أبو بكر باشا** وأنفذه إلى جده ، وحبس بالقلعة ثم أمر بقتله ، فقتل خنقا ورمى فى سوق جدّة يوما كاملا ، ثم رفعه بعض أهل الخير بشفاعة والتماس ، وغسّل وكفن ودفن بجدة ، وهرعت الناس إلى جنازته للتبرك به رحمه الله رحمه واسعة ، وقبره مشهور يزار ويعرف عند أهل جده بالمظلوم وكان قتله فى ثامن ربيع سنة ست وثلاثين ومائة وألف .

وقال السيد أحمد المذكور رحمه الله تعالى فى آخر تأليفه المسمى أسنى المطالب فى نجاة أبي طالب فى ترجمة السيد محمد بن رسول البرزنجي ومن أولاده السيد عبد الكريم المدفون بجدة المشهور « بالمظلوم » وسبب ذلك أنه من سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف فى دولة الشريف مبارك بن أحمد بن زيد أمير مكة وقعت فتنه بين أهل المدينة وأغوات الحرم ووقع فيها قتال يوما وبعض يوم وانتشر فساد وشر كثير ثم عرض ذلك إلى الدولة العلية وذكروا أن السيد المذكور وولده السيد حسن وبعض أعيان أهل المدينة حرضوا الناس فى تلك الفتنة ، فصدر الأمر من الدولة العلية بقتل بعض أشخاص ونفى آخرين ، وكان السيد عبد الكريم المذكور من جملة المأمور بقتلهم وكذاك ولده السيد حسن ، أما ولده رحمه الله صاحب كرامات وكان يدرس بعد صلاة الصبح فى المسجد النبوى ، فلما أرادوا القبض عليه ذهبوا إليه ليقبضوا عليه فى المسجد وهو يدرس ، فلما قربوا منه طمس الله على أعينهم ، فكانوا يسمعون صوته وهو يدرس ، ولا يرون شخصه ، فرجعوا وأخبروا آمرهم بذلك فلم ينزجر فأرسل إليه غيرهم فجاءوا ، وقد تم السيد درسه وذهب إلى داره بباب السلام ، فذهبوا إليه وأحاطوا بداره وجلس ناس منهم عند باب داره وأدخل الله الرعب والخوف فى قلوبهم فلم يتجاسروا على الدخول عليه فلما علم السيد أن فكاكه منهم لا يمكن إلا بالخروج من المدينة إلى مصر ، تطهر وتوضأ وصلى ركعتين واخذ قبضة من التراب فخرج عليهم وهو يتلو شاهت الوجوه شاهت الوجوه ﴿ وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما ﴾ [١] ونثر على رءوسهم التراب وهم لا يعلمون ، وخرج من بين أيديهم وهم لا يبصرون ، ولم يعلموا له خبرا حتى وصل إلى مصر وأتاهم خبره ، فأقام بمصر مدة ودخل الجامع الأزهر واجتمع بالأكابر من العلماء وألف كتابه : « نفثة المصدور » وهو كتاب لم يؤلف نظيره فى : الفصاحة ، والبلاغة ، والقصائد النعتية النبوية ، والكلمات الحكمية ، سلك فيها طريق القوم من السادة الصوفية ، مشيراً إلى ما حصل له من الكدر وما ذاقه من الألم والفراق والبعد من الحضرة

---

(١) سورة طه آية (١١١) .

النبوية ، وأشار فيه إلى هذه القصة وأن النبي ﷺ أشار إليه بالخروج إلى مصر وأن يخرج عليهم وينثر على رءوسهم التراب وأنهم لا يبصرونه ، نظير ما وقع له ﷺ عند الهجرة إلى المدينة ، ثم عاد بعد ذلك إلى المدينة .

وأما والده رحمه الله فصعب قبضه بالمدينة فَحسّن له بعض أعدائه الخروج من المدينة إلى مكة المشرفة والإقامة بها ، فلما وصل إلى مكة قبض عليه [١] **الوزير أبو بكر باشا** وأنفذه إلى جدة وحبس بقلعتها ثم صدر الأمر بقتله ، فقتل خنقا فى ليلة الثامن من شهر ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين ومائة وألف ورمى فى سوق جدة يوما كاملا ، ثم رفعه بعض أهل الخير بشفاعة والتماس ، وغسل وكفن ودفن بجده وهرعت الناس إلى جنازته [٢] ، ولقب بالمظلوم رحمه الله رحمة واسعة .

ذكر فى « الروض الأعطر » ما نصه : « ثم عقب ذلك بيسير جاء الأمر بعزل الوزير المذكور فخرج متوجها إلى الأستانة ، وركب مع من معه فى سفينة من جدة ، فبعدما حلوا شراعها وجرت بهم غير بعيد أتت ريح عاصفة فأغرقه الله ولم ينج منهم إلا قليل .

قال : هكذا أخبرنى به بعض أهل العلم من أهل جدة سماعا عن غيره من الثقات . انتهى .

وقال **السيد جعفر البيتى المدنى** رحمه الله تعالى فى ديوانه لما قتل **باكير باشا السيد عبد الكريم بن السيد محمد رسول البرزنجي** بجدة سنة مائة وألف وثمانية وثلاثين أرخته بقولى :

يابن عبد الرسول يرحمك الله وقدست ميتا وفقيدا
أسوة المسلمين أنتم جميعاً فى جميع البَلا قريبا بعيدا
إن قُتِلتُم ظُلما فغير عَجيبِ قد حكيْتُم آباءَكم والجُدُودَا

---

(١) فى المخطوط : « قبضة » .

(٢) توجد بعد هذه الكلمة عبارة : « للتبرك بها » وهذا من الأمور الشركية التى تأباها شريعتنا الإسلامية الغراء والكتاب والسنة الصحيحة ، وهذا من الأمور البدعية .

والذى قد شَقُوا بكم وَسَعِدْتُم … خسروا حيثُ أرخوكم سُعُودَا
ما برحتم مُقسَّمين قتيلا … أوتسليبا أو موثقاً أو طريدا
نحن نبكى الأحياء منكم قديماً … لا تظنوا هذا البكاء جديدا
قتلوكم وقبلوا كسوة التا … بوت من قبر جدكم والحديدا
قتلوكم ظلما وصلوا عليكم … عجباً ما نرى عليه مزيدا
لم يكن واحد يزيد عليكم … بل نرى دهركم يزيدُ يزيدا [١]
أسوه المسلمين أنتم جميعا … فى جميع البلاد قريبا بعيدا
فسلام عليك متَّ سعيداً … مثلهم فى البلاد وعشت حميدا
عام حزن قتلت فيه فأرخـ … ـناه عبد الكريم مات شهيدا [٢]

وقال السيد جعفر المذكور رحمه الله تعالى وقلت أُرثى المرحوم السيد حسن بن السيد عبد الكريم البرزنجي المتوفى بمصر مختفيا رحمه الله تعالى رحمة واسعة :

يابن عبد الكريم قدرك أعلا … عن رثاءٍ فيه نردد فضلا
حسن الاسم والفعال جميعاً … أنت فيما نبديه قولا وفعلا
أنت ابن النبي وابن علي … وكريم الآباء فرعا وأصلا
بيتكم سيد البيوت جميعا … ولكم فى العلا السهام المعلى
بيت تقوى وحكمة وعلوم … أعرقت فى الكمال بعدا وقبلا
قدست روحك الشريفة روحا … وهواها الرضى من الله نزلا
وسقت أُدمعى بمصْر ضريحا … لك والمعصرات طلًّا ووبلا
صورة متَّ نائيا وغريبـا … والرفيق الأعلى اتخذتَ محلا
قد رثيناك قبل موتك لما … ساء رأى الزمان فيك وزلا
فزت بالمِحنتَيِن بالجور والطا … عون للشهيد جورا وقتلا

---

(١) البيت فيه تورية .

(٢) كتب بعد هذه الأبيات : سنة ١١٣٨ هـ .

ولعل ذلك يكون التاريخ الذي قيلت فيه هذه القصيدة .

يابنى السيف مثل قول على — صدق الاسم فيكم حين حلا
حَبَّذا خصلة تحقق وصفاً — من صفات الآباء أهلا وسهلا
هذه دار محنة وابتلاء — وبنا وُكِّلَ البلاء وجلا
سنة سنها الأقارب فينا — فاقتفى أثرها الأباعد سبلا
حسد الناس فضل ربك فيهم — وتخطوا الصحيح نقلا وعقلا
ليتها لو تكون رأسا برأس — ليس نبغى لنا بذى الدار فضلا
يا فقيدا فقدتُهُ وسرورى — أنت ضاعفت فوق ثكلي ثكلا
أنت فى دفتر المظاليم تالٍ — ثم فى العرض حال ظلمك يتلى
جبر الله قلب كل كسير — ذاب بالحزن فيك ثم أضمحلا
وسلام عليك فى كل حين — كلما سلم الشجىّ وصلى
أبداً كلما أباح زمان — حرمة من حمىً العلا واستحلا

انتهى .

قلت : لم يذكر الخطيب **عبد الرحمن بن حسين بن الشيخ على الأنصارى** المدنى رحمه الله فتنة بك **بشير أغا شيخ** الحرم فأحببت ذكرها هنا تماماً للفائدة .

* * *

ذكر فتنة بك بشير أغا سنة ١١٤٨ ثمان وأربعين ومائة وألف

وفى زمن شيخ الحرم بك **بشير أغا** وقعت فتنة عظيمة بين أهل المدينة وأغوات الحرم فأدخل شيخ الحرم بك **بشير أغا** الأعراب من حرب المسجد الشريف النبوى وأغلق أبوابه ، وأطلعهم على المنائر فصاروا يرمون بالرصاص على الناس ويصيب ذلك جميع من حول المسجد الشريف ، واستمر ذلك خمسة وأربعين يوما ، وهى مذكورة فى قصيدة **السيد جعفر البيتى** فلا حول ولا قوة إلَّا بالله العلى العظيم .

قال المرحوم **السيد جعفر البيتى** فى ديوانه ما نصه :

وقلت على لسان أهل المدينة المنورة شكاية إلى الشريف **سعود بن سعيد** أمير مكة المشرفة وإنهاء لضررهم الواقع عليهم من الفتنة الكائنة سنة ١١٤٨ ثمان وأربعين ومائة وألف .

قفوا تنظروا آثار ما صنع الظلم ... وَجُوسُوا خِلَالَ الدَّار تُنبيكم الأَكَمُ[1]

قفوا بالرسوم الدارسات فربما ... تَحَقَّتُم منها وما نطقَ الرسْمُ (*)

قفوا نشتكي ما قد أصاب فإنه ... عظيم ، وإن الأمر حادثُهُ ضخم

على كل دعوى فى الظلامة حجة ... يصدقها التحريق والهدمُ والرّدم

إلى عدلكم يا آل زيد توجهت ... وجوه شكايانا وعندكُمُ الحكم

إليكم يساق الأمر والنهى فى الورى ... وأنتم ملوك الأرض والسادة الشم

إليكم وإلا فالسلام على الحمى ... إذا حامت الأعداء عليه ولم تحموا

سلوا فلسان الحال من كل مسلم ... أصيب ببلوى عنده خبر (**) جَمّ

---

(١) الأكم : هى المواضع أو التلال والهضاب . القاموس (أكم) ٧٤/٤ .

(*) الرسم : أثر الدار وهو هنا مبالغة .

(**) خبر : شاهد .

سلوا عن حديث المبتلى من بلى به ... وأولى بنعت السقم من مَسَّهُ السقم

سلوا كل دار بالمدينة ما الذي ... لقينا فعند الدار من أهلها علم

سلوها عن الهتك الذى قد أصابها ... قريبا فمن لقياه فى وجهها وَسْم (*)

سلوها عن الأعزب كيف تسنمت ... ذراها وكيف النهب والهتك والغنم

وكيف ارتقوا فوق المنائر وانتهوا ... إلى غاية ينحط من دونها النجم

وكيف أعيدت وقعة الحرة التى ... إلى هذه الأخرى تضاف وتنضم

يزيدية ردت وحقك أنها ... لفاقرة أسبابها الجور والغشم

ولولا رجال يخربون بيوتهم ... بأيديهم ما أخربوها ولا هموا

وما عزمو فى ذاك إلا برأيهم ... ولولاهم ما كان عندهم عزم

هُمُ جَمَّعُوا مال الحرام وأنفقوا ... على البغى ذاك المال فاجتمع الإثم

ولله كل الحمد إذ كان حسرة ... عليهم من الأنفاق أعقبها الغرمُ

ولم ير قدما من يعين بما له ... على عرضه الا الدنى والقدم

أعانوا على السلطان أعداء ملكه ... وشقوا عصا الإسلام جهرا وما لَمُّوا

وقد زعموا أن الحمية منهم ... له وهى لا تخفى على عاقل وهم

فقل لهم هل كانت السنة التى ... نَفَيتُمْ لهم عن مبتدا حربكم عِلْمٌ

وهل حضروا لما غدرتم عشية ... وقطعتم فى السوق من لا له جرم

وصلتم جميعا بالبنادق بعدها ... وحاربتم من عنده حربكم حتم

وهل طلبوكم للشريعة خيفة ... على الفتنة العمياء من أنها تَنْمُو

وهل كان داعى الصلح يدعو فتسمعوا ... وتعصون إلا الحرب أم أنتم صموا

وما ذاك إلا عن هوى وتفرض ... يراه عيانا فيكم من له فهم

إلى الله نشكوا ما أصاب وإنها ... أمور لها فى الدين مُذْ صَدَرتْ ثلم

عسى فى خبايا الدهر نصر معجل ... يُرَمُّ به شعث الأنام ويَلْتَم

على رغم من يهوى الفساد ويبتغى ... العناد ولم يبرح إلى بدعة سموا

عسى دعوة المظلوم حين دعابها ... أجيبت عسى أَجْدَت عسى نفذ السهم

عسى حق مقتول أصيب ويتمت ... أرامله حتى أضر بها اليتم

(*) وسم : علامة .

لعل العذارَى المحصنات يراهم غيور على العورات ذو نخوه شهم
عسى رافع هتك المحارم دافع الظلا ثم عدل بالرعيـــــة يهتم
عسى نافذ الأحكام والأمر فيصل له نظر أعْـلا وآراؤه حزم
ومن غير مسعود يساعد بالمنى ويرجى وذاك الماجد البطل القرم
قريع الغلا ملك الأباطح سيد الـجَحَا جح من تعنو لعزته البهم
وقد جاء فأل الخير منه مساعدٌ شبيه اسمه ياحبذا الفال والإسم
وياحبذا **يعسوب** مُلك مقدمٌ له الصدر قدما مثلما قدمت بسم
لك الخير والبشر لديك فإننى أَشُمُّ رياح النصر إن صدق الشم
فياغوث ملهوف الفؤاد ومنتهى المراد وجالى الهم إنْ عظم الهم
وآمن مخوفات البلاد وملتجى الـ عباد ومن فى عدله لهم قسم
أعد نظرا فى الحال والحادث الذى جرى وانبرى من عظمة اللحم والعظم
وفى كل مسكين فقير وَوَالد حزين ومولودٍ أُصيبت به الأم
وأرملـة جاعت ثلاثين ليلـة وعشراً بها الخوف المبرح والعُدم
وقد بلغ السيـل الزُبى [(١)] وتضرمت جحيم وعنى قد ذاب من حرها الجسم
خذا الأمر بالمعروف واحكم بما ترى وشمر لحسم الداء ينفعنا الحسم
رضينا بما ترضى من الأمر كله لنا وعلينا لا إباء ولا رَغْمُ
لك العفو والحلم الذى أنت أهله ولكن فى العاصين لا يُحْمدُ الحِلم
فما صنعوه غير خاف وظلمهم شهيد عليهم عندك العُرب والعجم
فلا تلتفت للعذر منهم فإنه بقايا خداع جرحه ليس يَندمّ
ولو صدقوا لم يستبدوا برأيهم لأمرٍ فظيع غيّه العار والذم
ولكنهم فى زعمهم أنَّ حكمهم إليهم ولا لأمر عليهم ولا حكم
وقالوا كثيرا مثل هذا وإنَّهُ قبيح وأولى من إباحَتِهِ الكتم
لقد رضعوا درّ الحرام وإنَّهُ عسير عليهم بعد طول المدى الفطم

---

(١) فى المخطوط : « الزبا » تصحيف . وهو مثل يضرب حينما تكون الأمور وصلت إلى المنتهى . والزُبية الرابية لا يعلوها الماء .

انظر : الصحاح (زبى) ٦/٢٣٦٦ .

وأعظم بلوى نالت الناس أنها ... تصام ولا عند الملوك بها علم

يخافون فرمانا على غير موجب ... إذا ما شكوا ظلما فكلهم بكم

إذا حاولوا الإنصاف لم يسعفوا به ... وكيف يرجى العدل والحَكَمُ الخصْمُ

بقيتم لنا يا أسرة الهدي إنكم ... مصابيح فى الظلماء يمحى بها الظلم

جزا الله كل الخير حُسَن صنيعكم ... وما فعل التدبير الحزم والجزم

إذا دام فينا حكمكم والتفاتكم ... فكل لَيالِينا وأيامنا سِلم

لكم غُرَرُ الأفعال من كل صالح ... على الناس يروى ذلك النثر والنظم

على جدكم أزكى صلاة وبعده ... عليكم وفيكم يحسن البدءُ والختمُ

* * *

ذكر فتنة عبد الرحمن أغا الكبير سنة ١١٥٥ خمس وخمسين ومائة وألف

قال الخطيب عبد الرحمن بن حسين الأنصارى رحمه الله تعالى : ثم تولى مشيخة الحرم **عبد الرحمن أغا الكبير** وذلك في سنة ١١٥١ إحدى وخمسين بعد المائة والألف وعزل فى ١١٥٦ ست وخمسين بعد المائة والألف ، وتوفى بمصر سنة ١١٦٢ وهو الذى صارت فى زمنه الفتنة العظيمة الشهيرة بفتنة كابوس ؛ وسبب ذلك اختصار على ما فهمناه من أفواه ثقات الناقلين إلينا هذا الخبر ومن قصيدتى : **السيد جعفر البيتى ، والشيخ محمد سعيد** سفر أن **عثمان بيك** أتى بمال الغلال ، فأخذه ومنع كل ذى حق حقه ، وكان كتخذا نوبجتيان قديم **السيد أحمد كوافى** وكتخذا القلعة **محمد سعيد انقشارى** وكتخذا الأسباهية **عبد القادر ظافر** فوقعت المداحلة بينهم ولم تزل تتنامى نواميها وكان **حسن كابوس** من وجاق النوبجتية له كلمة نافذة فهجموا يوما على القلعة وأثاروا الحرب بعد أن تجمعوا عليهم جموعا لا تحصى وأغلقوا أبواب البلد وتفرقت كل جماعة منهم ناحية فقالوا لهم ما الخبر وسعوا فى الإصلاح بينهم ، فقالوا مطلوبنا ستة أنفس إما تقتلوهم أو تجلوهم ، فأخرجوهم وأجلوهم عن المدينة إطفاءً لنار الفتنة منهم : **عمر زكى كتخذا** القلعة سابقا ، **ومصطفى أوذْباش** [1] كتخذا نوبجتيان ، **ومحمد مراد كتخذا** الإسباهية ، ثم لم يكتفوا بإخراج الستة حتى أخرجوا ثمانية عشر رجلا ، وكتبوا بينهم حجة شرعية على الصلح والإصلاح والإعانة على تقوى الله ، وكتبوا عرضا على مقتضى ذلك للدولة العلية ، فجاء الفرمان على مطلوب شيخ الحرم ، فزادت شوكتهم وعظمت صولتهم ، وابتداء ذلك سنة ١١٥٥ خمس وخمسين بعد

---

(١) قال صاحب تحفة المحبين : « وأما مصطفى المزبور فنشأ على طريقة والده المذكور ، وفاقه ، وكان بطلًا شجاعاً مشهوراً مذكوراً وصار كتخذا النوبجتية إلى أن توفى سنة ١١٧٢ مقتولًا برصاصة بقرب العنبرية وهو راكب على فرسه فسقط ميتا والقصة مشهورة

المائة والألف ، فأرسل طائفة ممن يميل للجلوية يحرضوهم على المجيىء إلى المدينة ، وأن يهجموا [على][1] القلعة وهم لهم أعوان إذا حلوا فيها وَرأْسهم **الصالحى** ، فلما كان ليلة الأحد واحد وعشرين من جماد الثانى سنة ١١٥٦ ست وخمسين بعد المائة والألف تسوروا عليهم القلعة بين العشائين ، وأتوا إلى باب القلعة من غير أن يشعر الموكلون به وبها وأغلقوه ، وكان كثير منهم خارجه فظنوه أنَّ الشبان تلعب ثم توجه أحدهم إلى بيت الكتخذا وأكمن جماعته وطلبه فخرج إليه مترفها فشد عليه الكمين وقتلوه ، وقتلوا أخاه **حمزة** فأحسن بذلك ولده **حسين** وكان بطلا شجاعا وخرج بسيفه فقط لأنه لم يظن ذلك وتجاول معهم ساعات ، وصاروا يترادفون عليه ذرافات ذرافات ، ومع هذا لم يتمكنوا منه وقد جذع فيهم كيف شاء إلى أن قتل **الصالحى** ، وكان رئيسهم فخذلوا ووهنوا وخافوا الفضيحة .

كل ذلك ولم يعلم بهم أحد ممن هو خارج القلعة ، فختله بعضهم وعرقبه ، فصار على ركبه يحمل عليهم الكرة بعد الكرة وهم يفرون من بين يديه وهو يضرب من شَذَّ ويفرى من فَذَّ إلى إن ذهب بعضهم إلى العين وبل عباه[2] بالماء ، ثم ختله ورماها على كاهليه ورأسه فحينئذ أطفوا نور نبراسه ورزقه الله تعالى الشهادة وله فى الآخرة إن شاء الله الحسنى فزيادة ، ولما سمع بهم من يميل لهم أتوا إليهم أفواجا ، ووقعت بينهم وبين أهل الحارة وقعات عظيمة ، وقتلوا **حسن كابوس** فحينئذ عظم الأمر على أهل الحارة ، وأرسل شيخ الحرم للدولة العلية يعرفها بذلك ، وكذلك أرسل لو الى جدّة ، والشريف **مسعود** ، فأرسل الشريف **مسعود** جرده ودس إلى أميرها بأن شيخ الحرم إنْ لم يطع أهل القلعة فى مطلوبهم من إخراج الخمسة الأنفار فأنت معهم عليه ، وبلغ ذلك شيخ الحرم فأرسل إلى **هزاع** شيخ حرب واستماله بالمال بأن يرد عنه الجردة فجمع من قدر واستدعى **بهزاع وعيد** مشايخ حرب ومكنهم من المدينة غير مرة فأخربوها ونهبوها وجلا أكثر الناس إلى المناخة ، واستمر الحال على ذلك إلى رجب ، فأرسل الشريف **مسعود بن سعيد** أمير مكة فى أمر الصلح بينهم ظاهرا وكان مباطنا لأهل القلعة فمشت بينهم الهدنة إلى مجيىء

---

(١) ما بين المعقوفين إضافة لازمة .

(٢) العباءة والعَبَايَةُ : ضرب من الأكسية ، والجمع العَبَاءُ والعباءاتُ الصحاح (عبى) ٢٤١٨/٦ .

الحاج ولما وصل الحاج الشامى إلى المدينة أتى الفرمان بعزل **عبد الرحمن أغا الكبير** شيخ الحرم ونصب **عبد الرحمن أغا الصغير** نائب الحرم وخزندار سابقا فى السنة المذكورة وهى سنة ١١٥٦ ست وخمسين بعد المائة والألف وذلك بما ذهب للدولة العلية من العروض من الشريف وغيره ومن القصائد الاستنجاديه مثل قصيدة الشيخ **محمد سعيد سفر** وقصيدة **السيد جعفر البيتى** .

قال : السيد جعفر البيتى رحمه الله تعالى :

بكى على الدار لما غاب حاميها ... وجَرّ حُكمها فيها أعاديها
بكر لطيبةَ إذ ضَاعت رعيَّتها ... وراعها بكلاب البَـــرِرَاعيها
بكى لمن هاجروا بِالكُره واحتملوا ... عنها وكانوا قديما هاجروا فيها
واها لكربتها واها لغربتها ... واها لجائعها واها لعاريها
واها لحالي لما قمت أنشدها ... الدارُ أطبق أخراسٌ على فيها
يا دمنة [١] سلبت منها بشاشتها ... وألبِسَتْ من ثياب المَحْلِ بَاقيها
وقفت فيها أعزيها لكربتها ... أعْجَبْ [٠] على جَلَدى أنى أعزيها
فمن معينى بأحزان يضاعفها ... على من لعيونى من يواسيها
ياصاح ناد البواكى وابك أنت معى ... ولا تصبر نفس لا تُسَلّيها
ما مثْلُ طيبَةَ ما مِثْلُ الذى لَقِيت ... من الأسى [٢] فَبِمن نرجو تأسِّيها
حاشا لمختلف الأملاك من غير الدُّ ... نيا وما صنعت فيها لياليها
بأبى الفداء لها من كل حادثة ... لو كان ينفعها أنى أفديها
وغاية الجهد أن أبكى لها أسفاً ... حتى تجف دموعى فى مآقيها [٣]
كان التغزل فى جيران **ذى سلم** ... واليوم قد كثرت فيها مراثيها
هى المدينة أمست بعد عزتها ... كسيرة غاب عنها اليوم حاميها
ملهوفة كبدها حرا مقطعةً ... محروقةٌ فاسقِهَا إن كنت تسقيها

---

(١) كتب فى الحاشية : « نسخة يابلقة » . والدّمنه : المنزل الذى شد عنه أهله .

(٠) أى أعجب من عزائى لها وأنا أحق بأن أعز .

(٢) فى المخطوط كتبت : « الأسا » .

(٣) كتب فى الحاشية : « نسخة أصاقيها » . ومآقيها : أطراف العين .

ما قمت فى نصرها حق القيام فلا ... أقل من أدمعى فيها ترويها

ما فى الحياة ولا في العيش من أرب ... من مُنعِمٍّ بوفاةٍ منه يسديها

عشنا إلى أن رأينا ما يُصَدِّعُها ... عشنا إلى أن رأينا ما ينكبها

مصيبة عرضت للمسلمين غدت ... عن كربلاء ويوم الدار يلهيها

فيا شقاوة من أمسى يروعها ... ويا سعادة من أمسى يراعيها

يا رحمة من قلوب المؤمنين لها ... فى كشف عورتها من يغطيها

أشدُّ دارٍ خراباً لاعمارَ لَهُ ... دَارٌ أتى هدمها كف بانيها

قصوا العجائب عنى وانقلوا خبرى ... على الحقيقة أمليكم وأرويها

وذاك فى مائة والألف يتبعها ... خمس وخمسون أحصاهُن مُحصيها

كان الأغاء اصطفى فى السر طائفةً ... تبغي على الأمة الجلا وتَتْويها

لَموا عليه لأحْقَادٍ مُقَدَّمةٍ ... تلوح فى جُلِّهم والعجز يُخفِيها

وأصلُهُ فى الأغاء مال الغلال أتى ... **عثمان بيك** به للناس يوفيها

فضمه منه سرا ثم أنكره ... على الرعية يُقْصيها وَيُلْويها

ثم استقر به من بعدما شغبوا ... وليتهم تركوا الدعوى وداعيها

لكن دعاهم إلى ما كان ضرهم ... ناهيك بالضر والبأسا وناهيها (*)

فدب منه عليهم مع عصابته ... عقارب (**) الكيد غاديها وساريها

وجاءهم كل من في قلبه مرض ... يسعى بعلته معهم يداويها

ورتبوا صُحُفاً تُقْرا لِقلعتهم ... ليلا وجاء العِدَى فى زىّ قاريها

وحملوا فئة أخرى بنادقهم ... وسط التيازير تخفيها وتطويها

والناس فى عقله شتى مفرقةٍ ... وذلك المكر والترتيب خافيها

وأصبحوا غلقوا الأبواب (***) ثم رموا ... بنادق البغى تهوى من مراميها

فقيل ما الأمر قالوا نشتكى ضررا ... من ستة وولى الأمر يبغيها

إما القتال وإما تخرجونهم ... وذلك القدر يكفيكم ويكفيها

(*) معنى ناهيك : أى خذ النهاية .

(**) هى استعارة .

(***) الأبواب : أبواب المدينة .

ثم البقية أيضا بعدما ذكروا ... نعاهد الله إنا ليس نؤذيها
فكان ذلك عام الحزن إذ خرجوا ... ظلما على الناس تبكيهم بواكيها
وكتبوا حجة تحوى فسادهم ... تضمنت كل زور فى معانيها
فأكدوها بأمهار من الفقها ... شهود جوءب لادرت مساعيها
قالوا ولا تَنْتَطِحْ شاتان قد صدقوا ... لكنها الشهب خرت مع دَرَارِيها
وعرفوا الدولة العليا بما صنعوا ... كى يُسْعِدُوهَا بِفَرْمَانٍ يقويها
ومَّرت السنَةُ الشَهباء وحاكِمُنَا ... يَجْنى على الناس طَرْداً أو يجنيهَا (**)
أيْدى سَبَأ مزقتم (***) فى البلاد يدًا ... دنياهم وهى من إحدى دواهيها
قصيدة فى البلا كان العروض لها ... وجاءت الناس أرسالًا قوافيها
وكل ذاك ومسعود (*) مليكهم ... يَدْرى (**) التلاف ويسعى فى تلافيها
وأقبل الحج والإسلام كلهم ... أرواحهم بلغت منها تراقيها
وجاء فرمانهم طبقاً لموجب ما ... أنهَوْا وأنفُسُهم تمت أمانيها
والذنب والله حقا ذنب من شهدت ... شهادة الزور تخفيها وتبديها
أهْل الطَّيالس إياكم خذوا حذرا ... منها جميعا فإنى لا أسميها
إياكموا هذه الأفخاخ إنى لا ... آلوكُمُ النَّصح جَهْدا فى توقّيها
عصابة خلقت للغش والترمت ... باب الولاة بظلم الناس تفتيها
واستقبلوا الفتنة الأخرى بحالتهم ... لكنهم فسدوا فى بعضهم تيها
حتى طما الجور من نحو الأغا وبَدَت ... حوادث بينهم تنمو نواميها
ولم يزل يتداعى الأمر وافترقت ... مردان قلعة عنهم مع مواليها
وأصبحوا قتلوا كابوس إذ شهدوا ... بكفره فى أمور كان يأتيها

(*) الشهباء : البيضاء .
(**) يجنيها : يجعلها جانية أى مذنبة .
(***) فيه تلميح إلى قصة سبأ .
(*) مسعود بن سعيد .
(**) يدرى : يدفع .
(***) كابوس من طرف نوبجيتيان قديم

وأرسلوا طلب الناس التي خرجت ... وعاد مبعدها في الحال يدنيها
واستقبلوهم فرد الباب دونهم ... كُبَيْبَةٌ وجماعـات مُعَبِّيهـا
وأخروجوهم فثار الشر بينهم ... لفتنة قد أراد الله يقضيها
وأرسلوا للأغا للصلح فاضطربت ... أشياعـه وأبت إلا تماديها
وارسلوا طلبوا هزاع ينصرهم ... على المدينة كي ينفي أهاليها
فجاءهم بجنود كالحصَى عددا ... البغي قادمها والظلم تاليها
وشر الحاكم المذكور يسبح في ... سفينة الجور يُجْريها ويُرْسيها
جَرَّ البوادي لها من كل ناحية ... فاندك أسفلها منها وعاليها
وحسنت علماء السور عثرتَه ... بحكم طاغوتها فانجر طاغيها
ومنهم من تولى كبره وله ... عقبى عذاب أليم في توليها
قالوا لنا نسبة الأنصار قلت أجل ... أفعالكم صدقتها في دعويها
ستين يوما أقاموا في محاصرها ... قتلا ونهب وهدما في صياصيها
أيامُ بؤس حكت أضعاف ما صنعت ... أيـام مسرِف المرى باغيها
كأنها دار كفرٍ قام مجتهداً ... في فتحها يبتغي رضوان باريها
وأنزلوها على حكم العدو ولا ... رثوا لذلتها في كف مدليها
واسفر الحال معه في ثمانية ... وعشرة باقتضاء الجور يجليها
وكتبوا كتبا في الصلح واحتكموا ... على الرعية حكما ليس يرضيها
لكنها هدنة جاءت على دَخَن ... وهدنة الجبر شرط لا يواتيها
وسار **هزاع** (*) والأحوال فاسدة ... والناس مضمرة أشيا تعميها
وكان في قلعة السلطان طائفة ... تحققت غِشَّ من كان يُغويها
فأطلعوهم إليهم في الحبال كما ... تسعى الأفاعي وترقى في مراقيها
فيا لها الله بسطامية وقعت ... أعادت الحرب بكرا في بحاريها
مات الأغاءُ ومن في حزبه كَمَداً ... بها وعاد لتلك الحرب يُنشيها
فأدخل الحرم الأعراب فانتهكت ... هناك حُرْمة هاديها ومُهْديها
وأصعدوها ولا خافوا ولا اعتذروا ... فوق المنائر ترمى من أعاليها

(*) هزاع من فراعنه حرب بل كبيرهم .

وصاحب الأمر باق فى تعصبِهِ معها على الناس يُشْلِيها ويغريها
يصرف المال مال المسلمين على تلك العصابة يَسقِيهَا ويَغذِيهَا
وأصبح الحرمُ العالى وروضَتُهُ كالجبَّخانة بالبـــارود يحشيها
لا جمعة لا صلاة لا أذانَ بهَا إلا البنادق ترمى من نواحيها
فصاحت الناسُ شرع الله وابتدروا إلى الخصومة قاصيها ودانيها
وبادروا مجلس القاضى لينظر فى فصل القضا ولنار الحرب يَطْفيها
فصدر الحاكم الشرعى نحوهم رسالة تقتضى الدعوى وتحويها
فلم يردوا خطابا عن رسالته إلا الرصاصَ جوابا فى حواشيها
وترسوا مسجد الهادى وثاربِهِ بين الفريقين حرب لست أحكيها
فَيا لَها زلـة منهم وفاقـرة جاءت على رغم مُفْتيها وَقَاضِيها
وقامت الحرب فيهم ترتمى شررا سِتين أخرى يدُ الأعراب تذكيها
وصاحب القبر محزون بما صنعوا غيظا لأمته ممن يعـاديها
وامتدت الحال بالبلوى إلى رجب ومنتهى صفر قد كان باديها
فسار من عند مولانا الشريف لنا عساكـر لتلافينــا يُواليها
فسار هزاع من نحو الأغاء لها يردهـا دوننـا قهراً ويرديها
فصدها وأتى منصور يسبقه إلى المدينة فى شعبان يحميها
وجاء هزاع يوم النصف واستعرت مراجل الحرب والملعون يُغْليها
وقسم البدو نصف عنده قعدوا والنصف عند الأغا مع عيد يقيها
وأضحت الدار قفرا لا أنيسَ بها الجنُّ تَنْدُبُهَا وَالأنسُ تَرْثِيها
أباحها البدو نهب ثم أحرقها وراح يشقى بها حقا ويشقيها
أباحها وهو يرجو من حماقته ثواب أصحاب بدر فى مغازيها
لكنه صان خير الخلق حوزتها وأصبح الستر غاطيها وضافيها
وحقق الله خِذلَانَ الذين بغوا جميعهـم واراد الله يعـليها
وسيروا هدنة للحج وانتظروا فيها الجواب وساعاهم مساعيها
وارتد هزاع مفشولا وعصبته بدواً وحضراً تغطيها مساريها
واصبح الحاكم المغرور يقرعُ فى سنِ الندامَة مما كان يوليها

والأمر لله مكتوب على يده … ان الأغا سوف يجليهم ويخليها
يا للكبائر من أدعو فيسمعنى … حتى أصرح عنها وأكنيها
من للمدينة إن غصت بريقتها … ومن يجيب نداها من يلبيها
ما أفقر الصيد إلا بعد مسلمة … أعطت محاسنها الدنيا لماضيها
عادت لنا سيره التيمور فى حلب … أيام صبيانها شابت نواصيها
ويومُه وهو فى بغداد يهتكها … ويوم **جنكيز** بالتَّاتار يرميها
وبخت نَّصرَ من قبلُ الذى ذكروا … فى مصرَ والقدسَ تقريبا وتشبيها
ويوم تهماز ما أدراك ما صنعت … فى شاحهان الموالى مع مواليها
شأن عظيم مضى فى الجور أعظمُهُ … شأن المدينة من أيدى شوانيها
حوادث ما رآها **دانيال** ولا … قصت ملاحِمُهُ شيئاً لِتسَاويها
يا شدة ليس إلا الله يكشفها … وغُمةً ليس إلا الله يَجْليهَا
أين الحجاز وأين الروم تسمع لى … صوتى إذا قمت من كربى أناديها
يا **آل عثمان** عين فى ممالِكِكُم … مطروفة لطمتها كف واليها
عين لدولتكم عين لدينكم … قد كاد لولا دفاع الله يُعْميها
آمنتموها فضَاعتْ عِنده سَفَهاً … وَنِيْل الأمانة ممن لا يُؤَدِّيها
نِمْتُم ولانوم عَبودِ الذى ذَكروا … عن المدينة حتى قام ناعيها
هُنًّا عليكم وهانت بعد عزتِها … وأصبح الكل جافينا وجافيها
أحوالنا عَلِمَتْها الصِينُ وَاعجباً … من كان يمنعها عنكم ويثنيها
خمسون عاما لنا والظلم يلحقنا … نقارِع البدو فيها أو نُداريها
ورام **سعد بن زيد** قطع دابرهم … لكن عدته من البلوى عواديها
سلوا عن العهد عما كان سَبَّبَه … فليس ذا أول الشكوى وثانيها
غَضضتم الطرف عن أشياء أبدعها … **بشير بيك** (*) فجاء هذا يسويها
سوسوا البلاد بعين من نفوسكم … دعوا الأجانب (**) أعطوا القوسَ باريها
لو أن **مسعودَ** قلدتم له عملا … أجزأ (***) وثَار لأعداكم يجازيها

(*) كانت فتنة بشير أغا فى آخر سنة ١١٤٨ هـ .

(**) أي جماعة الأغوات .

(***) أجزأ : كفى .

لكنه راح مربوطا على يده ... تحت الإشارة لا يبغى تعديها
يُنْهى إليكم وبعد الحول ينظر فى ... جوابكم عن أمور كان ينهيها
ما أبْعَدَ الورد إن بات العِطَاش عَلى ... وادى الغضا وبوادى الرمل (*) ساقيها
تا لله لو كان هذا الدين مبدؤه ... على التساهل والإغفال تمويها
ما صدق الرسلَ فى الدنيا مُصَدقُهَا ... وَلا جبا ساحة الأفرنج جابيها
سلوا ففي كَىْ قَبَادَ (**) الفرس معتبرٌ ... يُغنى الملوك إذا شاءَته تَنْبيْهَا
سَلوا ففى عِلْج عَمورية نبأ ... وابن الرشيد (***) ومن نادته تُنْبيها
وابن تلك من الدار التى شَرُفَت ... على الممالك إعظاما وتنزيها
ما أحوج الأرض للفتح الجديد فقد ... عم البلا وطفى الطوفان عاصيها
من باب مصر إلى بُصْر إلى عَدَنٍ ... إلى العراق يمانيها وشاميها
ومن سواكم وعين الناس ترقبكم ... قد وجهوا لكم الآمال توجيها
بخدمة المُصْطَفَى أسلافكم شَرفَتْ ... عَلى الملوك وهنَّاهَا مُهَنيها
تميمة علقت فى جيد دولتكم ... تذب عنها أعاديها وتحميها
عُضوا عليها وصونوها فإن سقطت ... تفزعت وغدت لا شيء يُشفِيها
ولن ترواحا دثاً فى الدهر أو قلقاً ... من العدا فهو من عُقْبَى تأسِّيها (*)
ما كان أحوجنا أن تَبْعثُوا ثقَة ... يُنْهى إليكم قَضايانا وَيُمليها
سلوا الطريق عن الحجاج تخبركم ... بالقتل والنهب فيها من بواديها
سَلوا عن الحجرة الزهراء إن خفيت ... أسرارها ربما التسآل يُفشيها
سَلوا عن المال فيها (**) والذخائِر مَنْ ... بالبخس قد باعها من كان يشريها
واجزوا العساكر إحسانا فقد ستروا ... عورتها وسبوا من جاء يَسْبيها

(*) وادى الغضا بالحجاز وجزيرة العرب ، ووادى الرمل بأقصى المغرب .

(**) كى قباد : من ملوك الفرس .

(***) أي المعتصم .

(*) كتب فى الحاشية : « نسخة تناسيها » .

(**) قيل : إن الأغوات باعوا من المال الذى فى الحجرة والله أعلم .

وكم أيادٍ لقاضى [***] الشرع قدَّمَها ❊ لله والله فى الأخرى يكافيها
فإنه صان عرض المسلمين رَمَى ❊ بسهمه وَعَناهُ ما يُعنيها
والنفس لا يستوى من جاء يقتلها ❊ وآخر قام يحميها ويُنْجيها
مشاهد صالح الأروام [****] تشهدها ❊ لنا وان سُئلت عنها تؤديها
فَهُمْ وحكام مولانا الشريف لهم ❊ أعمال برعسى المولى يزكيها
وكلهم بذلوا فى حال غيبتكم ❊ أرواحهم دونها واستقتلوا فيها
هم المحامون دون الدار لافِئَةٌ ❊ نَمَك حَرَام [*] ويكفيها معاصيها
جرى القضا عرفت أصحابها سَقَرٌ ❊ وجنة الخلد قد باءت بأَهْلِيها
نام الخلى عنك والمحزون خاطره ❊ يَبكى على الدار لما غاب حاميها

وقال الشيخ **محمد سعيد بن محمد أمين سفر المدنى** رحمهما الله تعالى فلقد أجاد وأفاد :

على بلدة المختار يبكى ويندب ❊ ويشكى إلى الله العظيم ويرغب
ويحزن مما قد أتاها من البلا ❊ ويرهب مما حل فيها ويرعب
ويرثى لها مما عراها عدوها ❊ ويأنف من تلك الخطوب ويغضب
ووالله لو أن الجبال تصدعت ❊ لماراعها حقت بل الأمر أصعب
ففى مائة من بعد ألف وستة ❊ وخمسين أبد الدهر ما منه يعجب
بدت فتنة عمياء فيها فأدهشت ❊ أولى العقل واحتار الطبيب المجرب
تموج كموج البحر فى ظلمة الدجى ❊ تظن شرابا وهى نار تلهب
وتخدع ذا اللب السليم بمكرها ❊ وتعبث بالحبر العليم وتلعب
وما جاء فى الأسلام قطعا نظيرها ❊ ولا فى قديم الدهر مذ كان يثرب
وإن كان قتل الشيخ أعظم فتنة ❊ وهتك يزيد للمحارم أغرب
ولكن هذى فتنة مستمرة ❊ فليس لها بعد المطالع مغرب
أقامت علينا فوق سبعة أشهر ❊ وليس يرجى بعد أن سوف تذهب

(***) هو إسماعيل افندى اسكدارى .

(****) صالح الأروام مثل محمد افندى كركوتى ومسعود زاده ومحمد شروانى ومجاورون آخرون

(*) من أمثال الفرس « نمك حرام » : يريدون بذلك الخائن .

وعمت بأنواع البلاء فمالها ... طريق يظن الخير فيه فيركب
وأعيا فرار الناس منها فكل من ... أراد النجا منها تجرّ وتجذب
فما هى إلّا ردّة جاهليّة ... تسير إلى سر القلوب وتثقب
فنسأل مولانا الكريم يعيذنا ... وكل منيب من لظاها وتطلب
ونرفع شكوانا إلى باب جوده ... فذاك لنا عند الشدائد مهرب
وندعوا رسول الله فى كل أزمة ... ليشفع عند الله فهو المقرب
وننهى إلى سلطاننا دام عدله ... **أبي الفتح محمود** ونبدى ونعرب
وَنَسْتَنْصِر الأشراف من **آل أحمد** ... فنصرهم للمستغيث مجرب [(١)]
على حرب الطاغين مع من أعانهم ... على حربِ جيران النبى وحزبوا
فيا لَتَمَىٌ يا لزيد ويا بنى ... **سعيد ومسعود** ماذا التجنب
أغيثوا أغيثوا بادروا دار جدكم ... فقد حرق الأعراب فيها وخربوا
وجاسوا خلال الدورة ينهبونها ... فشرق عنها ساكنوها وغربوا
فصارت خلاء وحشة بعد أنسها ... وأرجف فيها المفسدون وأرعبوا
وعطل منها مسجد المصطفى فلا ... يذاع به علم ولا القسط ينصب
ومن عجب منع المصلى دخوله ... وأعداء دين الله منه تقرب
وأعجبُ من هذا أذان مؤذن ... فمن جاء يسعى بالبنادق يحجب
وأعجب من هذين رميهم به ... فمن رامهم بالرمى للكفر ينسب
يقولون يرمون النبى وما دروا ... بأنهم بالنص للكفر أقرب
أيرضى رسول الله ما ارتكبوه من ... إخافة جيران النبى وأرهبوا
أخاف رسول الله من قد أخافهم ... ومن رامهم بالسوء فهو معذب
أيرضى رسول الله رميُهم من المَنَا ... ئر من قد جاء للشرع يطلب
فكم قتلوا منها بريئا موحّدًا ... ولم يختشوا بطش الإله ويرقبوا
فإن دماء المسلمين وعرضهم ... من المسجد الأعلى [(٢)] أحق وأوجب

---

(١) من المعلوم أن السؤال والشكوى والدعاء هى لله عز وجل الواحد الأحد الفرد الصمد ، فإليه يرجع الأمر كله ، وما فى هذه الأبيات من توسل ودعاء لغير الله عز وجل فهى باطلة لا يرضى عنها الله ورسوله الكريم ﷺ .

(٢) فى المخطوط رسمت « الأعلا » كذا .

وأما رسول الله فهو بقبره وراميى أعاديه إليه مقرب
فلو كان حيًا والعدوّ بجنبه يصول على الإسلام لاشك يضرب
أما كانت الصحب الأكابر حوله تدافع عنه الكافرين وتضرب
وأعداؤه من خالفوا شرعه وقد أباحوا حماه للعدو وأخربوا
وقد أبطلوا احكامه فى وصية وأرث وتزويج وللكفر صوّبوا
وقد بدؤا بالرمى كل موحّد فقُتل جمعٌ بالرصاص وصُوِّبوا
فإن تُرِكوا يستأصلوا كل مؤمن ويرضى بذاك المنكر المتعصب
فحكمُهِمُ حكم الكلاب بمسجد تنجسّه هلّا تزاح وتضرب
يقولون جهلا قد أطعنا أميرنا وقد خالفوا الشرع الشريف وكذبوا
ويبدون من فرط الخداع نصيحة وهُمْ لولي الأمر أعصى وأكذب
وليس لوالى فى المعاصى إطاعة ومن ردّ هذا القول فهو مكذب
وأقسم لو أنّ الأغاقة عصاهم لصالوا عليه بالسيوف ونصبوا
ولكنّ أغراضا لهم قد تحكمت فجدّوا على تنفيذها وتعصبوا
فإن كان يرضى فعلهم فهو مثلُهم وإن كان لا يرضى فهم قد تغلبوا
بلى صارَ رَهناً فى يديهم موافقا لأغراضهم والعقل منه مغيب
فخالف أمر الله واتبع الهوى فها هو ذا فى ورطة الجهل ينشب
يخاف حسابا عاجلًا دون آجل ويفسد أضعافا لما منه يرهب
ويطلب بالفرمان إخراج ستة وهم منه أولى بالصواب واصوب
حموا بلدة المختار وهو إباحها فأيهم بالنفى أولى وأنسب
إذا جاء فرمان على وفق قصده ينفذا وفيما سواه يغيب
واخرج فرمان باخراج بعض من لديه فلم يخرجه والفرق معرب
إذا جاء فرمان بتفويض سيد الـ جميع عليه وهو يأبى وينكب
على أن فى الفرمان إنهاء كاذب فإخراجهم بالكذب لا يترتب
وقد علق الفرمان بالشرع فارتضوا مرافعة وهو الذى يتجنب
فقالوا له إذ لم تطع لشريعة نعرف مولانا الشريف ونكتب
فلم يرض بالأمرين واتبع التى يفرع منها كل شر ويعقب

وقرب هزّاعًا وحكمه على ... مدينة خير الخلق يؤذى ويرهب
فلما رأى القاضى انشقاق العصى ... قضى بأن يخرجوا دفعا لما يتجنب
فلم يكتفوا منهم بإخراج ستة ... ومالوا إلى حرب العباد وأنشبوا
وشنوا عليهم غارة جاهليّة ... احاطوا بهم من كل وجه ونقبوا
فأدركهم لطف الإله فدافعوا ... عن المحصنات المؤمنات فأوجبوا
وحاول بعض الناس بالصلح بينهم ... على دخن والأمر فيه مذبذب
بأن يخرجوا منهم ثمانى عشرة ... ويوفوهم كل الحقوق ويحسبوا
فإن لم يوفوهم فلا صح بينهم ... إلى مدة معلومة فتغيبوا
فلما مضت لم يسلموهم حقوقهم ... وقد باء هزاع بما كان يكسب
وعاين أصحاب الحصار الذين قد ... نفوهم بظلم بغى حرب فأغضبوا
فجاؤا بليل تحت قلعتهم فما ... مضت ساعة حتى علوا وتغلبوا
فلما علوها كبّروا فتصاغرت ... قلوب الأعادى واستكانوا وأرعبوا
ولما حوى أهل الحصار حصارهم ... وقد يئس الأحزاب منهم وخيبوا
سعى بينهم بالصّلح من هو ناصح ... فسارع أصحاب الحصار وقربوا
وصرح بالمنع الأغاء وجنده ... ولاذوا بهزاع وأغروا وأنبوا
وأرضوه بالمال الكثير فجاءهم ... بجيش كجيش الفيل والله أغلب
ووافقه عيدٌ فجاء بجنده ... معينا له والشرّ للشر يجلب
فعاثوا بأنواع الفساد بطيبة ... وآذوا إمام المرسلين وأغضبوا
فهل سمعت إذن بحاكم بلدة ... يغير عليها بالعدوّ ويجلب
وهب أنّ منهم ستة قد عصوه هل ... عصاه جميع المؤمنين واذنبوا
وهب أنهم جمعا عصوه فهل له ... دليل على قتل العصاة فيعرب
وما ذنب أطفال صغار ونسوة ... أخيفوا ومن رمى المدافع ارهبوا
فكم مرأة ماتت برعب وحامل ... رمت حملها والخوف للكل متعب
وما بال دار المصطفى حين أخربت ... وجدّد فيها للخوارج منصب
وَولى **هزاع وعيد** امورها ... وأبعد منها المسلمون وجنبوا
بَغى نَصْر هزاع وقد طَالما بَغى ... ومن يبغ ذَا بَغْى فذاك المخيب

فهلا دعا مولاه مسعود الذى ... ينال لديه كل خير ويجلب
ومن هو فى قطر الحجاز مفوض ... ويعزل منه من يشاء وينصب
ولكن هزاعا إلى الجور مسرع ... **ومسعود** المرضى فى العدل يرغب
فإن كان **هزاع** أتى بجنوده ... فنحن بحول الله نعلوا ونغلب
فجاء بإعراب حفاة كأنهم ... كلاب تعاوى أو فساء تصوب
ألوف ولكن ليس فيهم شجاعة ... سوى أنهم فى الكفر حزب مخرب
إذا قيل جاءوكم تكاد قلوبهم ... تطير من الرّعب الشديد وتهرب
فلم يظفروا من طيبة بمرادهم ... سوى أكل من جاؤا بهم وتسببوا
ونهب حبوب المسلمين ودورهم ... واسواقهم والله يحصى ويحسب
وحرق بنار سوف يصلونها غدا ... وهدمٍ وحفرٍ فى البيوت لينهبوا
وقد ترك الناس المدينة وانتهوا ... لخارجها إلا قليلا فأتعبوا
وما عجبي من كفر حرب وإنما ... من المرتضى أفعالهم أتعجب
ومن قال هم أهدى سبيلا وحثهم ... على هتك دار المصطفى فهو أعجب
أليست بدار العلم والدين والهدى ... وأرضاً بها جبريل يأتى ويذهب
فياويحها من قربة ما أجلها ... وأطيبها إذ حَل فيها المطيب
ولكن أضاعتها ولاة أمورها ... وجدّوا على تخريبها وتخربوا
فياويلهم من مالك الملك فى غد ... إذا أدخلوا نار الجحيم وعذبوا
فلولا رسول الله فيها وصحبه ... وهمة قاضى الشرع والحق يغلب
لما حَامَ فيها الطير من عظم بغيهم ... ولكن حماها كل شهم مجرب
أولئك أصحاب الحصار وأهلها ... وقائد مولانا الشريف المهذب
فكم وقعة فيها تخرّ لوقعها ... وجوه الأعادى فى التراب وتسحب
فمنها ببيت الذبح فى يوم جمعة ... وقد ملؤوه [1] بالجنود ورتبوا
فكر عليهم بالسيوف حماتها ... وهل يعجزن الأسد كَلب وثعلب
فقتل منهم عصبة جاهليـة ... ثلاثون كلبا غير جمع تصوبوا
ولم يحم كلب منهُمْ دون نفسه ... بل استسلموا كالبدن حين تقرب

---

(١) فى المخطوط رسمت « ملوّه » كذا .

ويوم أتوا فيه إلى القعلة التى — تحصّن فيها أهلها وتجنبوا

وقد عزموا أنْ يفتحوها بزعمهم — فداروا حواليها ومنها تقربوا

فما راعهم إلّا وقد فتحت لهم — وكر عليهم كل ليث مذرب

ففروا جميعا كالجراد وبعضهم — لشدة ما يخشى على البعض يركب

وذبح منهم بضع عشرة فاجرا — ومن على بعض وجمع مصوب

فعادوا حيارى لا يقر قرارهم — وما منهم إلا كئيب مخيب

وذلك فضل الله يؤتيه من يشا — وما النصر ألا منه وهو المقلب

ثلاثة آلاف من البدو غير من — حماهم من السودان والكل محرب

يغيرون من خمسين من بعد عزمهم — على الفتح والمقدور عنهم يحجب

فهذا وبال البغى والظلم والأذى — ومن حارب الله العظيم سيغلب

وذاك بأنفاس الشريف وعزمه — وهمته فهو المهاب المحبب

هو الملك المرضى فى الناس حكمه — وسيرته فى العدل تتلى وتكتب

يحوط رعاياه برفق ورأفة — فما مثله فى الرفق أمّ ولا أب

حمى الحرمين الأعظمين بسيفه — فدانت له أم القرى وهى أرحب

وعارضه فى طيبة كل ظالم — فعاملهم بالحلم كى يتهذبوا

فما زادهم الا نفورا وجرأة — على الله حتى حابُوا وتصلبوا

فأنهوا **لهزّاع** بردّ جنوده — وفيهم بنوا الهيجا معد ويعرب

ويقدمهم من آل زيد عصابة — وكلهم فى حومة الحرب اشهب

فردهُمُ عن قصدهم بعد معرك — تحطم فيه السمر واليض تخضب

وذلك من جور الزمان وقهره — يحار له لُب اللّبيب ويعجب

أتعدوا أسود من لؤى ابن غالب — فيمنعها كل من البدو أجرب

ولا عجب فالحكم لله وحده — وكم حكمة فى الكون عنا تغيب

ولا بدع أن يستدجوا ثم يؤخذوا — كأخذه عادا وثمود فيذهبوا

فنرجوا لهم قتلًا سريعا على يدى — **أبى النصر مسعود** ليصفو مشرب

فيا ابن سعيد جد بنصرٍ معجل — فقد حاربت حرب وصدوا وأجلبوا

وصرح **هزاع** بإبطال حكمكم — فما لم يذقوا السيف لن يتأوبوا

وما حده حتى يعارض حكمكم ... ولكن ذيل الجهل والبغى يسحب
وقد كان من خدامكم أحمد الددا ... شواهم بنار الحكم حتى تعذبوا
ولكن برد الحلم جرأهم وما ... دروا أن شؤم البغى للقتل يوجب
ولما تمادى حلمكم يزاد بغيهم ... خصوصا علينا فاستطالوا وأتعبوا
فإن قتلوا منا أطلت دماؤنا ... ونحن ندى أن يقتلوا او يصوبوا
وأعظم من هذا قضية مرأة ... رمت بزناها اثنين وهى تكذب
فصممت الاعراب أن يقتلوهما ... بطاغوتهم والجهل فيهم مركب
ووافقهم حكامنا فتعاونوا ... على ذلك القتل الحرام وعذبوا
فوالله لم يسمع بهذا بملة ... ولا ملة فيها حيى وأخطب
إلى غير هذا من مظالم أوجبت ... لجيران خير الخلق أن يتغربوا
فان لم يطيقوا حالفوهم فيالها ... مصائب منها الحر فى الموت يرغب
وما ذاك عن جبن بنا غير أننا ... بلينا بحكام لحرب يقرب
ويعطوهم أموالنا لقتالنا ... وذلك عن معلومكم ليس يعزب
إذا كان جيش منكم جاء مصلحا ... يصدونه بغيا فلسنا نعيب
وكم قبله صدوا الحجيج وكم أتوا ... من الإثم والعدوان ما ليست يحسب
يقولون ما السلطان لو كان قادرا ... يجيء إلى هذى الجبال ويقرب
فلم يبق إلا دعوة الملك فوقنا ... وإن تمهلوهم للخلافة يطلبوا
فبادر حماك الله فى قتل عصبة ... لهم فى قبيح الكفر دين ومذهب
فمثلك من يدعى لكل ملمة ... ومثلك من يرجى إذا عز مطلب
وسر بجنود النصر قاصد طيبة ... فيلقاك بالإقبال سهل ومرحب
فليس لها يا ابن الكرام سواكم ... لفصل قضاء بيننا يترقب
فلا زلت مقصودا لكل عظيمة ... ولا زلت مسعودا وفألك طيب
عليك صلاة الله فى كل لحظة ... وإخوانك السادات ما انهل صيب

فلله درهما من شاعرين أديبين ، وفاضلين كاملين أريبين .

* * *

ولما تولى **عبد الرحمن أغا** الصغير كان كاليهود على المؤمنين ، وكابن أُبيّ فى المنافقين ، فسفر منهم من أراد تسفيره ، وغزر منهم من أراد تعزيره ، وجلا كثير من الناس ما بين ذنب ورأس ، وكان من جملتهم أهل بيتنا ، ولم يبق منهم إلا ما ندر ، وصار يتهدد أهل القلعة ويؤذيهم والله سبحانه وتعالى مطلع على أحوال الجميع ، فتوجه **سيدى عبد الكريم** وأولاده إلى مكة المشرفة سوى ولديه **محمد سعيد ومحمد أبى البركات** فإنهما أقاما فى المدينة ، **وأما سيدى يوسف** فإنه توجه إلى بدر وامتدح أصحاب بدر بقصيدة ، فمن ذلك ما قاله حين خروجه من المدينة وتوجهه نحوها وهى قصيدة غراء :

تصبّر فعمر النائبات قصير ... ومثلى على سير الزمان يسير
يقينى يقينى ما أظن من الردى ... ويمنعنى كيد العدا ويجير
ونفسى إن جاشت أقول لها أصبرى ... فلست بنفسى إنْ عراك ضجور
وكونى على حكم القضا مطمئنة ... فليس سوى ما قد قضاه يصير
وما محن الأيام إلا سحابة ... بأُبَّانِ صيف ساعة وتغور
فما تغلبن إلا ضعيفا يقينة ... ويغلبها ثبت الفؤاد صبور
وللدهر حالات كثير ورودها ... ودور على مرّ الزمان يدور
فيوم بلاء وامتحان وشدة ... ويوم رخاء وفرحة وسرور
كما حركات الرمل يعلوه سافل ... ويسفل عال والهباء يطير
فذا طبع دنيانا التى غدرت بنا ... ولم نعتبر ما قدمت فنحور
نرى ناهيا للضحك والقصد عضة ... وحد لأمر مَا الأنين قصير
وللحر فيها غصّة بعد غصّة ... وإن نال حمدا أبغضته نظير
إذا نصبت ذا منصب نصبت ... رِدا نَصَبٍ والعزل منه جدير
وكم رفعت نذلا وحطت مهذبا ... وكم كدرت صفوا عليه نذير
وشرّكَتِ اثنين فى أمر امرأة ... ولم يسع السيفين صَاح جفير
وخالفت الغطريف والوغد وافقت ... وجاءت على ما فى المراد تسير
فلا تعذلنها واعذرنها فإنها ... لساكن ريح لا تزال تغور
فشنشنة من أخزم قد عرفتها ... وطبعا فإني للطباع غيور

فمن يعرفها يستعِد لحربها — مِجنًا (١) من الرأى السديد ستور
ومن لم يضع حركاتها نصب عينه — رمته بأمر منتهاه خطير
ومن لم يحاذر غدرها أشمتت به — عداه وإشمات العدو كبير
ومن لم يفكر فى الحوادث دائما — فذلك معدوم الحواس بصير
ومن لم يسل بالعلم والحلم والتقى — فسابحه عند السباق قصير
ومن لم يشاور فى مهمات أمره — ولم يستخر فيها فذاك غرور
وماخاب من فى الأمر أبدى استخارة — وَلَم يند مَنْ فى الأمور يشير
ومن لم يكن عند الشدائد عدة — لإخوانه ويل له وثبور
ومن يتخذ أنصاره غير قومه — فليس له فى النائبات نصير
ومن يتساهل فى أخيه فإنه — يصير عليه ما عليه يصير
ومن ينتصر بالضدّ لابد ينخذل — كمن رام حسادا يكون ظهير
ومن يعتمد فردا سوى الله فايل (١) — ومن يعتقد حسبا سواه كفور
ومن يعتبر حمدا لغوغاً وقته — يعد حَمدُهُم ذنبا وذلك زور
ومن عنف الموجوع أبدى شماتة — لها فى حشاشات الفؤاد سعير
ومن عاشر الأنذل عرض عرضه — لعارض شتم بالملام مطير
ومن جرب الأمر المجرب نادماً — كما لكُسَعيّ ذى القوس وهو شهير
ومن يتحمل ذلة فوق زلة — من الألف عن حلم فذاك شكور
ومن يتجرع غصة الصبر ذاق من — حلاوة عيش أضمرته دهور
وويل لمعروف بمعروفه سما — فصار له كف الأنام يشير
يعاديه من يسدى إليه حمائلا — ويسلمه من كان عنه يجير
فإياك إياك الظهور فإنه — كما قيل كسر للظهور ظهور
فكم ظاهر ممن رأيناه قد غدا — بباطن أطباق عليه صخور
وصار حديثا قد مضى ذاك وانقضى — وأصبح تنعوه ربا وقصور
كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا — أنيس ولم يسمر هناك سمير
ومن بعد هذا اينقضى كل ما ترى — وتحدث من بعد الأمور أمور

---

(١) المِجَنّ : الترس .

(٢) أى . مخطىء

فطوبى لمن أعلا عن العيب نفسه ... فصار لها هام السماك سرير

وأكرمها عن أن تراب برية ... فأُكْرِمَ أنى يَغْتدى ويسير

وأبدلها دار المعزة والثنا ... ودارا بها للأكرمين ظهور

فدار لا دار كبدر وأهلها ... نجوم لبدر صبحهن منير

يلاقون بالبشر النزيل كرامة ... ويسلونه مرباه وهو صغير

فأعلاهم السادات ثم ابن وائل ... وآخر فى ذا الانتساب خشير

بلاد بها انتصر النبي على العدا ... فصار عليها من هنالك نور

سكنت بها واخترتها دون غيرها ... فكان بها للواردين صدور

وآثار طه فى حماها وتربها ... ومن لم يجد ماء فالتراب طهور

ومن كان فيها غير فاقد طيبة ... لأن بها للطيبين عبير

بها شهداء الله أنصار دينه ... هُمُ أهل بدر كلهن بدور

فسر قاصدا تلك المآثر زائرا ... فما خاب مَن تلك القبور يزور

فإنهم الأحياء عند إلآههم ... وسل عنهم ما شئت فهو يسير

هم القوم لا يشقى نزيل حماهم ... وحاشا نزيل للكرام يبور

وما ضرنى أنزاح دار ألفتها ... فكل ديار للمهذب دور

إذا وجد الإنسان ما يكرهنه ... بدار جفاها والديار كثير

خروج الفتى عن داره فيه حكمة ... يحيط بها من بالأمور خبير

فلو لافراق السهم للقوس لم يصب ... ولولا انصلات السيف ليس يضير

ولا يعرف المكنون إلا إذا بدا ... ولا الدر ما لم تقذفنه بحور

وليس على ضيم يقيم أخوحجى ... ويرضاه إلا العير وهو ... (١)

ولى أسوة بالسالفين إذ علا ... علىّ دنىٌّ واستحل حقير

وإن صُيِّنُ العرض استبيح ومثله ... فإن آله العالمين غيور

وإن ساد نذل فوق ندب مؤثل ... فلا بدع قد يعلو الزلال قشور

وللوقت إقبال كالاذبار ذابذا ... وقرض وفاء والقضاء نظور

فمن دق دق بما يدق ومن يكل ... يكال له كيلا عليه يجور

---

(١) بياض بالمخطوط هنا قدره كلمة

ومن كظم الغيظ استراح ومن عفى　　وأصلح فى العقبى جزاه أجور
وذلك توفيق من الله إن يشأ　　يوفق له من شاء وهو قدير
وإنى لأرجو الله تعجيل نصرة　　تطير لها فى الخافقين نسور
وتفريج كرب ما حسبت حسابه　　وتيسير أمر إذ يقال عسير
ونيل من نفسى على الفور عاجلا　　يجيىء به فى الحادثين بشير

ومكث بها مدة من السنين إلى أن توفى والده سيدى **الجد عبد الكريم** سنة ١١٦٢ هـ اثنين وستين بعد المائة والألف ببلاد الله الأمين ، إلى أن قال رحمه الله تعالى وفيما بين سنة ١١٨٧ إلى سنة ١١٩٤ : وقعت فى المدينة جملة فتن عظيمة المحن فيما بين أهل المدينة فى بعضهم بعضا ، وفيما بينهم وبين الشريف سرور وبين جماعته الذين وضعهم فى القلعة .

الفتنة الأولى سنة ١١٨٧ سبع وثمانين بعد المائة والألف

فتنة جماعة **القمقمجي** وهو أصلها ، **والقمقمجي** كان كتخذا أنوبجتيان واسمه **محمد حلبي بن مصطفى بن** محمد أغا وهو أول من قدم المدينة من الروم فى حدود سنة ١١١٠ هـ عشرة بعد المائة والألف **ابن جعفر بيك بن مصطفى باشا** أحد وزراء السلطان **محمد خان** ، رحمهم وإيانا الرحمن وكانت ولادة الكتخذا المذكور سنة ١١٢٩ هـ تسع وعشرين بعد المائة والألف وتوفى فى سنة [1] ، وكان عمر حتى قارب المائة ورأى ولد ولد ولده ، وكان كتخذا القلعة **أبو صالح محمد ابن صالح** ، كان أبوه من عتقاء الحاج **إسماعيل أفندى الفلبلى** الرومى ، كان جاوشا فى وجاق الانقشارية ولما أنزله المدينة **أحمد باشا** ولاة كتخذا القلعة ، ثم صار قائمقام أغاتها بعد وفاة **السيد عثمان** أغا ، وتوفى فى سنة ١١٩٠ تسعين بعد المائة والألف وكان كتخذا الانقشارية **محمد أمين ميكائيل** وشيخ الحرم **على أغا** وسببها : أنه أشفق أن ليلة أربع وعشرين من جمادى الآخرة سنة ١١٨٧ سبع وثمانين بعد المائة والألف حصل بعض سرق فى المدينة فاتفقوا النوبجتية أن يعسوا البلاد ليلا ويجعلوا كل ليلة على جماعة منهم ، وكبيرهم جاوشا من جواويشهم ولما كانت ليلة الجاوش **على قللى** خرج بعس على عادتهم ومعه **عمر الغسال وشرف قبانى** وجماعة ، وكان بينه وبين جاوش القلعة **سعيد** شقلبها بعض منافرة ولما وصل الجاوش **على** إلى باب القلعة فى عسة وجد جماعة من أهل القلعة عند باب الصغير جلوسا ، فدعوهم للجلوس عندهم للمحادثة وجلسوا إلى مقدار نصف الليل ، فلما قام من عندهم متوجها إلى مكانة عارضه **سلطان عبد مدينى سندى** غارقا فى الشراب ومعه جمع من الناس ، وكان مغرورا من طرف القلعة أو من من جماعته

---

(١) كذا فى المخطوط .

والله أعلم بقتله ، فوقعت بينهم وقعات هائلات تصوب فيها جمع من الطائفتين وقتل **سلطان** وسلم **القللى** وتوجهوا إلى حارة الأغوات وأتموا ليلتهم ، ولما أصبح الصباح اجتمعت النوبجتية فى الحارة واستحكموا الحكام فى ذلك فأمر شيخ الحرم **على أغا** بأن يحبس **محمد سعيد بن مصطفى** كتخذا سابقا أوده باش وكان بيرقدارا فى وجاقهم ويحبس معه جماعته فحبسوا ، وبعد مضى نحو من أربعة أيام أفترقت النوبجتية فرقتين .

منهم من قال : إنه ما يحبس ويخرج من حبسه ، ومنهم من تشدد فى حبسه ، وسبب ذلك أن شيخ الحرم تشدد فى عدم إطلاقة حتى يصل إليه جوابه من الشريف **أحمد بن سعيد** أمير مكة المشرفة ، فتكاثر الآبون بحبسه وأطلقوه رغما على شيخ الحرم وجماعته ، ولما خرج **محمد سعيد** تعصب هو ومن فى حزبه فى عزله الجاوش **على قللى** وقالوا : لابد من عزله وإخراجه من الوجاق فأبى ذلك شيخ الحرم ، فطال بينهم الحال ، واشق الأمر فرأى شيخ الحرم الإصلاح فى عزله فعزله ، وعزل الجاوش **أحمد خليل** ونصب عوضهما **شرف قباني** عوضا عن القللى ، **وأحمد تركى** عوضا عن **أحمد خليل** ، فقالوا ما زيد هذين أيضا ، فقال شيخ الحرم والكتخذا **محمد قمقمجي** : **ما نحن على رأيكم وأهوائكم فخرجوا عنهم نافرين ، وتوجهوا إلى القلعة مستنصرين بهم ومستنجدين ، وصاروا كل يوم مع جماعتهم فى أمور عظيمة وأحوال جسيمة ، فأرسل شيخ الحرم إلى الشريف أحمد** يعرفه بهذا الأمر ، فأتى بيورديا من طرف الشريف **أحمد** لعشر بقين من رجب ، فاجتمعوا العساكر وحكام المدينة وجميع الأعيان فى دكة الأربعين كما هو العادة وأتى كتخذا القلعة **محمد فليلى** بنحو أربعين مقاتلا تحزم ظهره ، وحضر من جملتهم الشريف **زين العابدين البركاتى** ولما استكملوا جلوسهم فى الدكة قام **أحمد** كتخذا كاتب شيخ الحرم وقرأ الكتاب عليهم وهم يسمعون ، فكان مضمونه قد بلغنا ما فعل بالفللى وعزل الجواويش فمن بعد الآن لا أحد يتعرض لوجاق غيره ، وكل منكم حكمه لكتخذاه وأغاته وشيخه وأرسلوا الجماعة الذين حصل منهم هذا الفساد ، فأبى أهل القلعة أن يطيعوه فى ذلك ، وكادت تقع المقاتلة بين الفريقين ،

ولما طال النزاع بينهم وكثر الجولان دخل بينهم الشريف **زين العابدين** بالصلح ، وقال لأهل القلعة : اخرجوا لنا كشف من لم تريدوه من جماعتكم وكان تعصب عليهم جماعة فأخرجوا له اثنين وثلاثين كشفا ، وقال كذلك للنوبجتية فقالوا : نخرج كشف الجماعة الذين عندهم فى القلعة ، ففزع هؤلاء لهؤلاء وهؤلاء لهؤلاء واستعوض كل منهما من عنده ثم كتبوا بينهم حجة شرعية بأنه لا يخرج أحد من وجاق إلى وجاق واصطلحوا ظاهرا والأمور فى البواطن إلى أن صارت بين الوجاقات شديد العداوات .

* * *

الفتنة الثانية

فتنة بين وجاق القلعجية ووجاق النوبجتية

وأسبابها عظيمة وأحوالها جسيمة ، فمن جملة ذلك ارتكابهم للمعاصى فى السر والنجوى ، وعدم التقاص فى الأمر بالمعروف والتقوى ولم يزل الحال بينهم فى طول وعرض ، إلى أن كاد يملأ ما بين السماء والأرض ولما عظم الكرب ، وكاد أن يشب بينهم نار الحرب ، والطعن والضرب ، أشار بعض الناصحين على الكتخذا **محمد فلبلى** بأن يعرف أمير مكة المشرفة الشريف **سرور بن مساعد** وكان أول ولايته ، ويشرفه على هذا الأمر قبل أن يطول بينهم الحال ، فأرسل إليه يعرض بذلك ويستعطف خاطره فى إطفاء نار الفتنة ، فأرسل الشريف إلى شيخ الحرم والكتخذا **محمد قمقمجى** يطلب منهم مُشبّي [1] الفتنة الذين هم من طرفهم **كالفلبلى وعيسى الجزار** ونحوهم ، فرأى [*] أن الأمر عظيم وتمت عليه الحيلة ، فما وسعه إلا أن توجه بنفسه إلى الشريف وشكى إليه حاله ، وتظلم عنده ، وقال له : أحضر خُصمائى بين يديك فإن كنت ظالما أنت أولى منى بالإنصاف ، وإن كنت مظلوما فأنت خذ بيدى ، وكانت حيلة منه ، فأرسل الشريف **سرور** يطلب **الفلبلى** للمحاكمة بين يديه ، وتعاين **للفلبلى** منه المكروه ، حسبما ألقى إليه فيه فتعذر فى الحضور ، فتيقن الشريف بأن الحق مع **القمقمجى** ، وكان بالأمر المقدور أن جاءه خبر من قتل من النوبجتية فى مدة جلوسه فزاده إيقانه ، وذلك أنه لما توجه القمقمجى إلى الشريف كما ذكرنا كان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الأرض ولا يصلحون ، ساكنون فى المناخة ، وكل ليلة ينزلون صلاة الصبح من باب المصرى وهم أشد طائفة النوبجتية ، وصارت تصدر منهم فى أهل القلعة أمور خصوصا لما تيقنوا معاضدة الشريف لهم كما تصدر فيهم من أولئك عظائم شرور ،

---

(١) فى المخطوط : « مشبين » وهو تحريف ، وما أثبتناه يوافق الصواب

(*) أي : القمقمجى .

ولما كان ليلة من بعض الليالي تحزم جماعة من أهل القلعة واضمروا لأولئك المكروه ودسوا على بواب المصرى بأنه حين دخول أولئك الطائفة يغلق خلفهم الباب ، وكان تلك الطائفة يجتمعون عصابة واحدة عند دكة (*) شيخ الحرم وينزلون كما هم ، ولما كان ليلة الجمعة لم يجتمع منهم سوى أربعة أنفس ابنا **القندقجي** الاثنان **والبقسماطي وشرف قباني** ، ولما دخلوا من باب المصرى أغلق الباب ، وكان أهل القلعة رتبوا لهم رتبا وأكمنوا كمنا فى غير محل من باب المصرى إلى باب السلام ، ولما توسطوا خرج عليهم الكمين ، ثم الكمين والآخر ؛ حتى أحاطو بهم من كل جانب ، وحملوا عليهم معاتب أثر معاتب من كل الجوانب ، وعسروا عليهم المداخل والمخارج ، إلى أن أجحفوهم بالضرب ، واستولوا عليهم بالطعن والسلب ، وضعف منهم الساعد ، وخانهم شيطانهم والمساعد ، **فوقع البقسماطى قتيلا** وتلاه أحد ابنى **القندقجي** جديلا ، ونجا أخوه وظن أنه نجا فسمع أنينه ، واستنجاده به وحنينه ، فرجع له منجدا فوقع بين مخاليب العدا ، ولم ينج منهم سوى **شرف قبانى** فإنهم لما أحاطوا به رماهم بجوار قريبين فأخرجوا له ودخل بنعله إلى دكة الأربعين ، ونادى بأعلا صوته : يا أهل الحارة ، ويا أهل النجدة والغارة قد دهمتكم الرجال ، وقتلوا من رجالكم الأبطال ، فلم يكن له مجيب سوى صدا صوته والنحيب ورجع أولئك وهم صاجون بالصياح ، فرحون بما استلبوه فيهم من العدة والسلاح ، وبما نالوه من أعدائهم فى ذلك البراح ، وتشويه وجوههم الملاح ، ولما أتى الصباح وأضاء بنوره ولاح ، اجتمع العساكر أجتمع فيما بينهم مع أمرائهم وعظمائهم ، وتوجهوا إلى بيت شيخ الحرم وقالوا : إنك دأبت ما صار البارحة وأن **القمقمجى** الآن عند الشريف ولا يمكن أن يترك ثأر من قتل ونحن ما نسلم له بوجه من الوجوه ، فالرأى أننا نحزم الأمر قبل مجيده ونعقد العهود والمواثيق فيما بيننا ونطلب منك أن تضع لنا كتخدا غيره حتى يتم لنا الأمر ولا يتم له .

فقال لهم كذلك : اختاروا من شئتم ، فاجتمع رأيهم على **أحمد مكى** فنصبه لهم وعقد فيما بين الوجاقات الأربعة والأغوات وعبيدهم وشيخ الحرم العقود

(*) دكة شيخ الحرم موضعها الآن القرقول المسمى بالخالدية ، لأن خالد باشا محافظ المدينة هو أول من بناه ، وبه سمى .

والمواثيق والعهود على أنهم عصاة واحدة ولا يمكنوا **القمقمجى** من دخول المدينة إلا أن أهل الحارة قالوا لهم : احفظوا باب الجمعة ونحن ليس لنا به حفظ ، فإن دهمنا خارج فنحن على ما نحن عليه ، وإن دخل علينا أحد فالتفريط إنما جاء منكم ، ونحن لا نسلم من يستنجد بنا فتموا على هذا الأمر ، وخالفهم الدهر العنيد ، ويأبى الله فى ملكه إلا ما يريد .

* * *

الفتنة الثالثة

فتنة القمقمجى مع أحمد مكي وأهل القلعة والانقشارية

وذلك أنه لما كان عند الشريف سرور وبلغه ما صار على جماعته كما قدمناه قام له الشريف عضدا ومساعداً ويدا ، وأرسل معه **إبراهيم أغا** وزير بابه وجوقدارباش والشاوش **حسن كوافى وحمزة ظافر** ، وأرسل **لبدوى** شيخ حرب بأن يعينه على جماعة آخر ، فخرج قاصدا المدينة ، ووصل إلى حرّة النقا يوم الأحد واحد وعشرين من شهر شعبان ، فأرسل له أهل المدينة يمنعوه عن الدخول فيها ، فنزل جماعته بالنقا ، وتوجه هو إلى العوالى وقباء والقرايا التى بأطراف المدينة يستنجدهم وأرغمهم بالدراهم وأشرفهم على أمر الشريف فأجابوه وساعدوه وجابوه ، ونزل السيد **حسن كوافى** إلى أهل الحارة خفية ، وأرغمهم بالأموال فى أن يقوموا معه فساعدوه على الشقاق ، ونكثوا ما بينهم من العهود لغش بواطنهم بالنفاق ، ومكث عندهم ثلاث ليال إلى أن استوثق منهم الفعل ثم طلع إلى جماعته ، وكان فى مدة جلوسهم فى النقا نزل جماعة منهم ورئيسهم **عيسى الجزار** وهدموا سد بطحان الساد ما بين بس نقره والمراقشية وحرقوا باب درب الجنائز ، ثم إنهم بعد إقامتهم فى حرة النقاتسعة أيام جمعوا كيدهم فى اليوم العاشر وأتوا صفا وأنجزوا ليلة الإثنين تسع وعشرين من شعبان على باب الجمعة يدا واحدة زحفا ، وأكمنوا تحت جدر البقيع ، ولم يكن بالباب أحد من طرف القلعة ولما جاء البواب وفتحه ما كان بأسرع من طرفة حتى هجموا الباب عليه ، فولى هارباورجلاه تضرب بأليتية ، فوجدوا أهل الحارة ينتظرونهم [(١)] بطبلهم والنقارة ، فقام الكل مسرعين ، وأتوا نحو المسجد النبوى قاصدين فصادفوا خروج شبح الحرم من المسجد النبوى ومعه الكتخذا **أحمد مكي** فهجموا على الكتخذا ، وكان شجاعا فقاتلهم ساعة ثم تكاثروا عليه فمرق من بين أيديهم مروق السهم من الرمية ، ودخل إلى بيت

---

(١) فى المخطوط « منتظرينهم » تحريف

الأغا ، وأغلق عليه الباب ومكث محبوساً ثلاثة أشهر سوية ، ولما أيسوا منه ، دخلوا المسجد وأغلقوا أبوابه التي من غير جهتهم : كباب الرحمة ، وباب السلام ، ومسكوا البيوت والحارات المتصلة بقرب المسجد النبوي من جميع الجهات ، ثم علوا على المناير وأطلقوا رمى البنادق والناس فى غفلة ، وهجموا على الأزقة والأسواق وربما وصلوا إلى باب المصرى والساحة ، وفرح من فرح واغتم كل مؤمن وأظهر النياحة ، فلما شاع خبرهم ، وشيش [1] صباحهم ورميهم ، فتح أهل القلعة قلعتهم ، وخرجوا ومقدمهم كتخذاهم **محمد قلبلى** ، وكان من الشجاعة وقوة الجنان بجانب عظيم ، وقسم جماعته قسمين قسم على الحماطة والآخر توجه على الساحة ، فما غير ساعة حتى طردوهم طرد الكلاب وصاروا بين يديه كالغنم الهاربة من الذئاب ، إلى أن وصل قرب ديار العشرة ، ووصل محلاتهم وأخرجهم من متارسهم ، واستمرت [2] الحرب بينهم ثلاثة أشهر كوامل ، وصار المسجد النبوى بيت الفسوق بعد أن كان بيت العبادة إلى أن وصل الحاج الشامى وكان واليه **محمد باشا بن العظم** ، ولما وصل إلى الجرف طلع إليه الكتخذا **محمد قمقمجي** بجماعته وطلع إليه الكتخذا **أحمد مكى** بجماعتة فرأى أن الأمر صعب إن بقى أحدهما فى المنصب أو تركهما على حالهما ، وكان مفوضا من طرق الدولة العلية ورأى ميل الشريف سرور إلى الكتخذا **محمد** فنصبه وأخذ الكتخذا **أحمد** معه إلى مكة وسلمة للشريف وأطفى نار الفتنة ، فجلست المدينة مطمئنة سنة كاملة غير أن جماعة القمقمجي صاروا يتعرضون لجماعة المكى ويتهددوهم ويسخرون بهم ويضحكون عليهم ، وأنشد فى ذلك الأفندى عبيد فدك قصيدة حذا فيها حذو **السيد جعفر** فى قصيدته التى عملها فى فتنة كابوس وقد قدمناها وزنا وقافية لكن ما أبعد مرماه فأين من ثريا ذاك ثراه مطلعها .

واها على طيبة مما جرى فيها ... من الفساد الذى قد حلّ ناديها
واها على بلدة المختار من مضر ... قد سامها بفساد الرأى شانيها

---

(١) فى المخطوط : « شلش » ولم أجد له معنى . ولعله ما أثبته .
والتشويش : التخليط . وقد تشوش عليه الأمر . الصحاح (شيش) ٣/١٠٠٩ .

(٢) فى المخطوط : « استمر » .

واها لمسجدها السامى وروضته … أبوابه غلقت لما عدا فيها

ومنها :

ها قد غدت أولات البغى مزجرة … صبح العروبة لا عاشت كواخيها

قتلا وعزلا كذا صلبا لأربعة … بغيا ولم يختشوا ممن ثوى فيها

عدد أبياتها ١٥٢ ، وقد تكلم فيها بالكلام الخارج الغير المناسب للمقام ، مع ما فيها من ركاكة المعنى ، واختلال النظام ، وكان فى بدء أمره خطيبا وإماما ،ثم صار من أعوان أولئك اللئام ، فسلط على ذمة ، وهجوه وشتمه فى غير قصيدة ، وقد استحسنت منها قصيدة سيدى الوالد لكونها أنسب فى الشتم من قصايد المرحوم **الفاضل الجامى** ، ولكونها نصيحة له أن لو كان يسمع ، ولكن رحم الله القائل :

لقد أسمعت إنْ [1] ناديت حياً … ولكن لا حياة لمن تنادى

ويرحم الله من قال ، وهو شاهد الحال ، فيمن عكس الموضوع وأذل المرفوع :

يستوجب الصفع فى الدنيا ثمانية … لا لوم فى واحد منهم إذا صفعا

المستخف بسلطان له خطر … وداخل الدار تطفيلا بغير دعا

ومنفذ أمره فى غير منزلة … وجالس مجلسا عن قدرة ارتفعا

ومتحف بحديث غير سامعة … وداخل فى حديث اثنين مندفعا

وطالب الفضل ممن لا خلاق له … ومبتغ الوِدّ من أعدائه طمعا

وقال لآخر

إذا رمت أن تحيى ودينك سالم … وحظك موفور وعرضك صيّن

لسانك لا تذكر به عورة امرى … فعندك عورات وللناس ألسن

وعيناك إن أبدت إليك مساوئا … بقدم فقل يا عين للناس أعين

وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى … وفارق ولكن بالتى هى أحسن

(١) فى المخطوط : « إذ » .

وهذه القصيدة المذكورة :

عُبيد لم تشترى دنياك بالدين ... وبعت ما لم يبع بالدّر بالدُّون

وَلم تعرضت أمرا لا تكون له ... أهلا ولم لا تصون النفس عن دون

فالشعر لست له أهلا لترويه ... ركبت جهلا جوادا غير معنونى

شهدت بالزور لادرت يداك غنا ... من ذاك أغراك قل بعض الملاعين

قد كنت فى نعمة يرجو يكون بها ... ملوك مغربها والشرق والصين

إمامُ فى حضرة المختار تقرأ ما ... أتى الأمين به من قاف أو نون

وجئت فى صف قوم لا خلاق لهم ... وعفت صفا لأملاك الأساطين

فذاك من شقوة حلت عليك فلا ... تجزع وسوف ترى أشنى من الشين

أشيا مسطرة قدما مقدرة ... عليك فاستوفيها استيفاء ذى دين

لم ترض عزا ولا علما ولا عملا ... ولا انتسابا لمن أرجوه يهدين

حيث تبدلت بعد العز منقصة ... لا شك إنك زربون بن زربون

وصرت ملتطئا مثل الكلاب على ... أبواب أهل الشقا أو كالشياطين

من ذا الزقاق إلى ذاك الزقاق إلى ... أهل الشقاق إلى إحدى الخبيثين

نعم تركت العلا إذْ لست مأهله ... واخترت إن صرت من جرب الكوانين

هذا وتزعم إن قد نلت مرتبة ... تعلو على تلك ذا عقل المجانين

من أنت ما الأب ما الأصل الذميم أمن ... ملوك ساسان أم نسل الفراعين

حتى تعرضت هجوا فى غطارفة ... لو كنت تمدحهم ما كان يرضيني

أما ابن مكي فجهل منك تنسبه ... للهند ذا غرض أم قلة الدين

فهاك أوصافه إن كنت تجهلها ... مجموعة نسجت فى طي شطرين

جبار لكنه فى مثلكم أبدا ... شفوق لكنه فى كل مسكين

أمين مأمونه عقابه ليس كمن ... أصبحت مأسورة عند الدواوين

الله يحفظـــــه الله يرشده ... الله ينقذه من شرذى مَين

أمين لا برحت رجلاك واطئة ... على رقاب العدا حينا إلى حين

محمد الفلبلى عون الضعيف وبل ... غوث اللهيف وبل كهف المساكين

شجاع ما مثله إن ناب نائبة ... تخور إن تلقه شم العرانين
كم قد أعدّ لمن يرجوه مكرمة ... وكم لأعدائة من سيف مسنون
فكلهم ليس من عيب بهم أبدا ... إلا محبة أهل العلم والدين
يارب سخر لهم سلطان دولتنا ... عبد الحميد سريعا بالفرامين
تأتى بنصرتهم مع كل بغيتهم ... لتصبحوا فرقا ملأ الصياريـن
لم تصدقوا أبدا لا تعرفون هدًى ... توبوا قبيل غدٍ ياآل قارون
يقول قائلكم : نخشى أخىّ عليّ ... أموال حجرتنا من ذى الملاعين
صدقت نحن الألىٰ صحت خيانتنا ... بنهب شُمَّامَةٍ أم أنتم افتونى
خيانة يا لها دهماء مظلمة ... سوادها زادها فوق السوادين
لكن وجوههم مثل القرود فلا ... تَصْفَرُّ من ريبة لو كان فى الدين
أنكرتموا قول جامىّ فيويلكمـوا ... هل تختفى الشمس حين الظهر عن عينى
إذ قال للقتل أعددتم مساجدكم ... نعم وللخمر أيضا والغـلايين
صغيرة منهم كفر بلا شبه ... وكُفْرُكم أنتم أدنى من الدون
بلاطة إن تكن فى الماء تجمده ... الله يلعنكـم لعـن السراحين
هذا ودم ياعبيد مع رفاقك فى ... ذل وهون ليوم الحشر والدين
كذا رئيسكم أبى من عقدت ... له ولايتـــه توم السواديـــن
ومن يلوذ به ومن يعوذ به ... ومن يميل له لو طرفة العين

وللفاضل المناضل المرحوم الشيخ أحمد الجامى جم قصائد هجى بها كل من فى الحارة وخصوصاً الأفندى عُبَيد وفيها من الشتم واللعن والذم مالا يليق منها ردا عليه من وزن قصيدته وقافيتها :

من فى الأفندى بدت يا صاح معدته ... وأرعدت ثم سحت بالذى فيها
وخضبت سرعة بالورس شاربه ... وطرطشت ذقنه انظر حواشيها
أما ترى صفه فى العارضين إذا ... ما لاح فيها بريق الماء يغشيها
فالذقن قد زانها بل شانها قذر ... فعن قريب ترى نتفاً يوافيها
دندنت ياطبل قبل القرع واعجبا ... حركت ذيلك للفحشا ترويها
أدخلت نفسك يا متعوس فى شبك ... كيف الخروج إذا ما شئت تنجيها

بالغت فى سب أقوام سموا وزكوا … حاشاهم من قبيح فهته فيها
أعراضهم طهرت من قذف ذى قذر … لا يستطيع غبار الذم يأتيها
جاريت يا فار دهم الخيل فى سبق … أبوال إبل الفلا فى العكس تحكيها
قد كنت فى سالف الأزمان تخطبهم … كذاك توعظهم تبكى بواكيها
والآن تبعهم هجوا وتشعرهم … وأنت لا تعرف الآداب تحويها
كم كذبة كم زخارف حاز نظمك يا … قبر اليهود وكم أشياء تزكيها
قطعت للبعض بالنيران فى سقر … كذلك البعض جنات تؤديها
ياهل ترى رازبوتى أنت أم قدريّ … أم رافضى قمت للآداب تحييها
كلا بل أصلك المصكوا كذا نقلوا … عنك الثقات ولايغباك خافيها
أبديت قافية خنثى ومشكلة … لا وزن فيها ولا ربطا يقويها
قد كان جهلك مدفونا عليه غطا … فنقصك الآن أبدته قوافيها
كشفت عورتك البرصاء ياذخلى … فاستر عوارك واريها وغطيها
هذا لجام لبغل قام يرفزنا … كذاك بردعة خيطت عراويها
بلبسها طول دهر فى الورى أبدا … ما سال فى بلدة المختار واديها

وكان هذا لأمر — أعنى نصب **القمقمجى** — وعزل المكي وتسفيره على عدم رضا كل مؤمن من أهل المدينة وغيرهم ، ولما رأى شيخ الحرم ما صار كتب عرضا عظيمة ، وحط على **القمقمجى** غاية الحط بما هو فيه وذلك باطلاع من جميع أعيان المدينة ما عداه ، وأعطاه للأفندى **تاج الدين إلياس مفتى المدينة** ، وكان بينه وبين الشريف عداوة عظيمة ، فتوجه صحبة **الحاج الشامى ورجع من آخر عامه ، ومعه الأوامر السلطانية بعزل القمقمجى** وتسفيره ، ونصب **أحمد مكى** وتمت **الأمور** وذهب **أهل** الشرور ، إلى أن جددها كما يأتى الشريف **سرور** .

* * *

الفتنة الرابعة سنة ١١٨٩

فتنة الدوس ، وسميت بذلك لكثرة ما وقع فيها من الدوس والمهالك

وذلك أنه لما تم **للقمقمجي** مراده ، وصار بيده حل الأمور واستبداده ، صارت جماعة المكي بينهم ضحكة ، ومسخرة مستضحكة ، بل إنهم جرى لعقلهم الفاسد ، ورأيهم الخاسر الكاسد ، أن الباشا إنما فعل ذلك خوفا منهم ، وقد تواترت كثير من الخرافات عنهم ، حتى أنهم صاروا مثلا يضرب بهم فيقال : فلان عقله مثل عقل العبيد ، ومن أعجب أمرهم ، وليس بعجب فى حقهم ، أن بقرا أدخل رأسه فى زير ، فحشر رأسه فى ذلك الجفير ، فأشار عليهم كبير من كبرائهم ، وعظيم من عظمائهم ، هو مَرَدٌّ لهم عند المشورة ، ومعهد لهم عند الشورة ، بقطع رأس البقرة فلم يخرج فقال : اكسروا الزير بحجر ، ثم علا صياحه وبدا نياحه ، فسئل عن السبب ، فقال : من يدبركم إذا استولى عليَّ العطب ، وهكذا فقس على ذلك وهذا من أدنى أحوالهم ، وحبس **أحمد مكي** عند الشريف مدة ثم إنه أذن له إلى المجيء إلى المدينة على شرط أنه يلزم بها أدَبه ويلازم بيته ومتعبدة ، ويترك عنه القال والقيل ، ويمشى على أوضح السبيل ، وأن يكون فى المدينة طلعة يعنى حكمه لمن أطلعه فجاء إلى المدينة وأوفى بما التزم ، وأصم أذنيه بما يطرق سمعه من اللعن والشتم ، كل ذلك مراعاة لخاطر الشريف ، ولم يزل الحال بينهم فى زيادة ، إلى أن أبدت مبادى الفتن وظهر بعض الشرر ليلة سبعة عشر من صفر ١١٨٩ ألف ومائة وتسع وثمانين فصار كل من الآخر على حذر ، واستطال بينهم الحال إلى يوم الجمعة سبعة عشر من ربيع الثانى من السنة المذكورة ، فتوجه الناس لصلاة الجمعة ، ولما صاروا فيه جموعا مجتمعة ، طلع الخطيب وكان إذْ ذَاك الأفندى **محمد بالي** وهى أول مباشرته ، ثم لما أتم الخطبة وقام إلى الصلاة بأوفر الهيآت ، فهم بين القيام للملك المعبود فى حالة السجود ، وإذ بسنارى عليه الجنون طارىء ، صاح فى المسجد صيحة عظيمة ملأت قلوب الناس رعبا فظن كل من جماعة **القمقمجي والمكي** أن الآخر هجم عليه لأن كلًّا من الآخر على

حذر فتشوشت صفوفهم ، واختلفت قلوبهم ، فعمد **عذيب قبيطى** ، وكان من جماعة **القمقمجي** إلى طبنجة وثورها وسط المسجد فتيقن كل منهم أن الأمر حقيق ، وعمدت الأغوات إلى دكتهم وأخرجوا منها السلاح ، لأن هذه عادتهم فصارت مأوى للفجور بعد أن أسس بنيانها على التقوى والصلاح ، وعمدوا إلى باب السلام وأغلقوه ، وأرادوا غلق باب الرحمة فما استطاعوا غلقه لكثرة الزحام ، لأن الناس وبالخصوص المكي وجماعته ومن هو قائم لهم بالأنتصار وكأهل القلعة والانقشارية والاسباهية حصل لهم ضيق عظيم وصاروا كالفار فى الغار ووقع بكثرة الزحمة دوس عظيم بباب الرحمة ، وامتلأ منه الطول والعرض ، حتى صارت العتبة العليا منه أرض ، ومات فى ذلك المجال نحو ثلاثين من الرجال ، ولما رأى أولئك ما دهمهم من هذا الأمر العظيم عمدوا إلى باب السلام وكسروا مغلقه بالحسام ، ثم فتحوه وخرجوا بعد أن حلوا فى ربعة النكال وولجوا ، وحصل بسبب ذلك فرج عظيم على الناس ، وزال عنهم ما كان دهمهم من الباس ، ثم جاءوا أفواجا إثر أفواج ، ومسكوا المحكمة السلطانية ، والمدرسة الكائنة برباط السلطان المطلتين على المسجد الشريف ، بعد أن علا أهل الحارة ومن كان على شقاقهم المنائر والمسجد ، وصاروا يترامون هؤلاء من نفس المسجد وأولئك على المسجد ، وقتل رأس الفتنة على ما يقال **الجاوش على قللي** وغيره ، وطال بينهم الحرب ، واستمر الطعن والضرب ، واشتد على المسلمين الكرب ، وصار المسجد مأوًى للفسوق والعصيان ، ومنع منه أهل الإيمان ، فتجدد بما فعله فيه العنيد ذكر الفاسق اليزيد ، ولما طال المطال ، واشتد الحال ، وتزايد أفعال أهل الضلال أنشد **الشيخ أحمد الجاميّ** مرتجلا فى الحال بلسان المقال متوسلًا وشاكيا ذلك للنبى ﷺ وعلى صحبه والآل :

إلَى مَ رسول الله يشتد ذا الخطب ... وحتَّى مَ هذا الحال والطعن والضرب

وكم هتكوا ربع الأمان بطيبة ... يهدده فيها من لا يهدده الرعب

وما بال أهل العلم والشرف الأولى ... لهم درجات فوق غيرهم تربوا

بها لم يقم وزن لهم وخيامهم ... أشايرها مرفوعة ما لها نصب

وكيف يمرأى منك ياسيد الورى ... ومستمع فى مسجد يُشهر العضبُ

ويصدر فيه ما يمج سماعه ... ولا يرتضى ذكراه شهم ولا ندبُ
كنائِس من لم يعبد الله وحده ... لها حرمه فيهم وعنها لهم ذب
فما لأناس مسلمين تجبروا ... على الله فى ناديك واستسهل الصعب
فأين حياهم منك أين احتشامهم ... لذات سمت أين التخضع والحب
وأين احترام الستر أين افتخارهم ... بنسبته أين المهابة والقرب
وكيف لهم وجه مع الله فى غد ... إذا كنت أنت الخصم والحكم الرب
وقال لك ارفع إذ خررت لسجدة ... وسل تعطه قل يستمع قولك العذب
وتعلق فيك الأنبياء ومن علوا ... متون ذرى العليا آلك والصحب
وكلهم نفسي يقول معددا ... خطيئته والعين كالعين تنصب
وما لهم إلا جنابك يهرعوا ... إليه وفي تلك الشدائد ينكبوا
وذلك فى فصل القضاء إذا لها ... تقول أناوالعجم تسمع والعرب
ونادى المنادى هؤلاء لجنة ... وللنار نادى هؤلاء ولا عتب
إلى غير هذا من أمور مهيلة ... يشيب لها الطفل الرضيع الذى يحبو
نعوذ به منها ونسأله بأن ... يعاملنا باللطف فالأمر ذا صعب
فياويل من ساء الجوار وسحقه ... إذا ما له عنها طريق ولأدب
ويابعده ياليت فى الكون لم يكن ... ولا ضمة ذاك الستار ولا الحجب
ومن عجبي قوم به لم تهزهم ... مروّتهم فى الدين حيث لهم قلب
يتيه بسعدى والعذيب وبارق ... ولم تنزوى عنهم أثيلة والشعب
وصوت المثانى والمثالث لم يزل ... حليفهم إن قام أو قعد الخطب
وأهذاب أطراف التماضى لهم بها ... مجاذبت أضحت فيا بئس ذا الجذب
وفوق الذى أحكيه عنهم فكيف ذا ... يسوغ لهم والحرب حبلى ولا طب
ومسجده السامى غدا جب خانة ... وحصنا حصينا عافه الفرض والندب
وليس له أضحى مقام وإنما ... زمامك فيه ليس ترعى ولا القرب
وقد حرم الجيران طيب منامهم ... وحرمه الإرجاف والرعب والرهب
فعتبا على حَظٍّ به غير مرة ... يشاهد توقيد الوغى حين يشتب
ولم يسترح من ذا العيان وذا العنا ... وقد سبق السادات والأنجم الشهب

قضايا وأحوال إذا ما تحققت … لعمرى جال معرقه كثب
يقهقه منها كل وغد ومختشى … عواقبها من زانه العقل واللب
وحقك لولا الحق حف بلطفه … لشاهدت طوفان المصائب ينصب
فياليت شعرى هل لها فى قيامها … على ساقها أصل فيصفى لها القلب
وهل هو هدم فى الشريعة واقع … فقام لتعمير له ذلك الحزب
وإلا فأغراض النفوس وحظها … وشعبذة من دونها اللهو واللعب
فياليت ذاك الحزم والعزم بينهم … على من يعاديهم أقامت به النجب
ويا ليت ما أبدى التشمت بينهم … ولا سرد ثلم الرجال ولا الحزب
وياليتهم إن جاء باشا لديهم … يطيعوه أو يلغى له الأكل والشرب
فواهفى أين الرجال بطيبة … وأين الغيور الحر والحازم الخصب
فلا حول فيما قد سعوا فى انتهاكه … ولا قوة إلا به وهو الحسب
ألا يارسول الله غارة غيرة … يذوب لها الجلمود واليابس الصلب
فبلدتك الغراء زاد خرابها … وقامت لِلدغ الناس حياتها الجرب
وقطعت الأسباب فيها وعطلت … وحق عليها الحزن والنوح والندب
وصار يحل الأمر خوفا وحالها … غدا حالكا والخلق عمهم الكرب
وجرد سيف البغى والمنكر الذى … به الله لا يرضى ولا أنت يا حب
إذا كان فى حال السجود لجمعه … وبين يدى من لاسواه لنارب
تدور رحى الهيجا لا وردها … وتطحن ذا ذنب ومن لا له ذنب
فلم لا يعود الدين هذا كما بدا … غريبا ومن يقبض عليه وينكب
كقابض جمر فى يديه كما به … لقد أخبرت عنه الرسائل والكتب
وما غر أهل البغى غير مقالة … بأنك بحر لا يكدرك الغرب
فلو شاهدوا أمواج انتقامك فيهم … لأغمدت البيض البواتر والقضب
ولا نثروا ذاك الرصاص وصيروا … رَزاياه من كل الجوانب تنصب
ولا سبب كانوا لخلق كثيرة … بوطىء ازدحام الناس ضمهم الترب
ولا نقضوا تلك العهود وأرجفوا … بلادك واسترزاهم الشرق والغرب
فلا سقيت ساعاتها وسعاتها … وعَلَساتها (*) اللاتى بها رحل الركب

(*) وعَلَساتها : بفتحتين ضرب من الحنطة

ولا رعيت منها المطالع إنها ... لمقرونة بالنحس أنجمها النَّهب
وحينئذ فالقصد حل لعقدها ... وعقد لحلوى الصلح هذا هو النحب
وحسن ائتلاف بينهم والتفاتة ... بأكسير أنظار عسى يفرج الكرب
ويذهب حَزن الحُزن عنا وينجلى ... ظلام الأسى والعفو يحصل والحب
وتحيى عبادات بمسجدك الذى ... إلى الآن لم تفتح مداخله الرحب
وترتع مع ذيب شياه تعجفت ... وأبعدها عن رعيها الهم والغلب
فأنت الذى تدعى لكل كريهة ... وأنت الذى ترجى إذا دهم الخطب
فإن لم تداركنا وتنظر ما بنا ... هلكنا وحاشانا وأنت لنا طب
وإن نحن قارفنا الإساءة حيث لم ... نقم بحقوق واجبات ولا نحب
فبابك فى الصفح الجميل وفى الرضا ... على مذنب لاشك فى أنه رحب
وما خوفنا إلا بزلة غيرنا تنقل ... يحيط بنا من شأنه السلب والنهب
فليس ببدع ذاك فى أرض طيبة ... فكم مرة حلت بساحتها العرب
فلا زلت غوثا فى الملم وغيثنا ... إذا ضن مزن يستدر بك السحب
عليك صلاة الله ثم يحوزها ... هُداه الورى الأنجاب آلك والصحب
وتابعهم مالاذ بالباب لائذ ... وقابله الإقبال والسهل والرحب
وما أحمد الجامي المقصر من رأى ... بلادك قد أخلت منازلها الحرب
وليس لها من ذاك حسن تخلص ... وصار غراب الحزن فيها له لعب
بلاغاية فى لكرب قال مؤرخا ... الا فاندبوا فيحاً طابه لا عتب [1]

ثم تلاه الفاضل الماجد سيدى وسندى الكامل الوالد ، صاننا الله وإياه من ريب المنون وأسعدنا سعادة الدارين بجاه صاحب السر المصون ﷺ وشرف وكرم .

أخى اذا ما جئت فى سوح أحمدا ... تضرع له وامدد إلى نحوه اليدا
وناد وقل ياسيد الرسل نجدة ... تفرج عنا ما أقام وأقعدا
عسى نفحة منكم عسى لمحة بنا ... تحف عسى المولى يجيب لنا الندا

---

(١) يوجد تأريخ بعد هذه الأبيات وهو سنة ١١٨٩ هـ .

لقد طال هذا الكرب واشتد عسره   وشتت جيش الصبر طرًّا وبددا
وكدر وجه الدهر بعد ابتهاجه   ونغص عيش المؤمنين ونكدا
وأذهب راحات النفوس جميعها   فللّه ما ولّى وللّه ما بدا
ولم يبق إلا أن يذيب رسومنا   وإما قلوبا قد أذاب وأكبدا
كأن كروب الدهر أجمع أمرها   على حربنا فاستنفرت نحونا العدا
هموم غموم ثم قلة راحة   وحزن عظيم كلما رث جددا
ثلاثة أعوام نكابد همها   وإن لم تداركنا هلكنا فأنجدا
وكم يوم قد قلنا وكم ليلة بها   نبيت ولا ندرى الذى صايرٌ غَدا
ومن قبلها قد كان قحط وشدة   وأشجار ظلم أثمرت عله ودا
وكم جرعتنا كأس صبر وحنظل   مرارتها أدنى المصائب والردا
فرادى ومثنى حيثما ثم سكرنا   تركنا حيارى قط لا نعرف الهدا
فنسأل رب العرش تفريج كربنا   بجاهك يارب السماحة والندا
ومذ شق أقوام عصاهم وشمتوا   عداهم وأضحى كل وغد مسودا
تهلل وجه الرفض بعد اغبراره   وأصبح ذُو رفض عزيزا وسيدًا
يجر ذيول التيه فى أرض طيبة   وكم من لعين منهم السيف جردوا
وسُرُّوا سرواً لم يُسروا بمثله   وغنّى مغنيهم لذاك وغردا
وقد مرّ دهر لا يجرون ذيلهم   ومن جر أمسى بالتراب موسدا
تمنيهم يا سيد الرسل نفسهم   بأن يملكوا أرضا وداراً ومسجدا
فسوف إذا طال المطال لأننا   سللنا لنصر الرفض سيفا مهندا
وقال لهم داعى الضلال تباشروا   لما قد أتى فى المؤمنين من الردا
فقاموا جميعا واستفزوا رجالهم   وجال أخو رَفْضٍ هناك وعربدا
وقالوا لهم قد هلَّ عيد انتظارنا   فمن رام تعييدا فقى اليوم عيّدا
فبادر ملعون على الفور جهرة   وسارع لِلسَّدِّ القديم وهدّدا
وأعقبه من بعد أبناء متعة   بحرق لباب عندما الليل هودا
ولم يختشوا من سطوة القهر فيهم   وظنوا بأن الله تاركهم سُدا
وما قصدهم إلا انتهاك محارم   وتخريب دور المؤمنين أولى الهدا

وما منهم إلا لعين وملحد ... وجد مجوس وابنى تهودا
حفاة عراة كالكلاب تنابحوا ... على قرعهم والأصل لعن تأبدا
فلو لم يكن هذا الشقاق لما جرى ... على مثلها من مثلهم ذا ولا عدا
وما كان ذا قصد ولكن مقدر ... من الله محتوم عليهم مؤكدا
فلا تسحبوا يا معشر الرفض أنهم ... يدومون فى هذا الشقاق إلى مدا
فيا سيد الكونين صار الذى ترى ... من الحزن والكرب الذى قد ترددا
ويا كهف من يلوى عنان ببابه ... ويا خير من نودى سريعا فأنجدا
تلاطم بحر الكرب واشتد موجه ... على أهل حق بالجوار تأكدا
أرامل أيتام ضعاف أغثهم ... فلا زلت مأمولا ولا زلت مقصدا
فيا عين سحى بالدموع فطابة ... تبكى بذكراها حديدا وجلمدا
أيا بلدة ضاعت نضارة حسنها ... وأضحت وصار الوجه منها مرمدا
تواضعت أم وضعت من بعد رفعة ... تناهت بعلياك سماكا وفرقدا
فحاشاك من ذل وحاشاك من قلا ... وحاشاك من خوف وحاشاك من ردا
أفى منبع الاسلام يصدر مثل ذا ... لقد عاد هذا الدين حقا كما بدا
فلا حول فيما قد أصَارُوا وقوة ... سوى بالذى تعنوا له الخلق سجدا
عسى نظرة منكم تؤلف بينهم ... ليصبح سيف الدين فى الكفر مغمدا
فصلى عليك الله مالاح بارق ... وما ناح قمرى الأراك وغردا
وآل وأصحاب كرام أجلة ... وسلم تسليما مدى الدهر سرمدا
وما هل وبل الجود منك عليهم ... وما قام منشيها ببابك منشدا
حسبن ابن أنصار إليك انتماؤهم ... يرجى فكن عونا له ثم مسعدا
ومع غاية الإحصاء قال مؤرخا ... لقد أشمتوا فينا أعادى وحسدا [١] .

ولما طال بالناس الحال ، واتسع بالبأس المجال ، وطارت بهذه الفتنة قطا الأخبار ، ورسبت فى أساس ذرا شوامخ الأقطار ، ورثاها الظاعن والمقيم ، وونى بهجة حسنها المروى بماء التسنيم ، أرسل الشريف **سرور السيد حسين العلوي** من طرفه لهذه الشرور فوصل إلى المدينة لخمس بقين من شعبان وعقد بينهم الهدنة إلى

(٢) يوج تأريخ بعد هذه الأبيات سنة ١١٨٩ هـ

مجيىء **الحاج الشامي** ويحصل الكفوف والكاف ، فلا أحد يتعدى على أحد بنوع خلاف ، فتموا على هذا الأمر ، وانشرح بذلك الصدر وسرت فيهم نسائم المراواحة ، وانعقدت بينهم التولية والمرابحة ، بعد أن دامت فيما بينهم المبارزة والانتقام ، وتزلزلت بالمنازلة أقدامهم والأجسام ، أربعة أشهر وثمانية أيام ففتحت المساجد ، وقام لله العابد ، فلا ترى فى مسجده الشريف بعد تلك الفسوق غير راكع أو ساجد ، أو قانت أو عابد ، أو عاشق لجمال الله واجد ، وكان من خير الأفندى **تاج الدين إلياس** أنه لما توجه إلى الدولة العلية بالعروض السلطانية ، أتت على ما فيها من عزل **القمقمجي** وتعزيره ، ودحض شوايخه وتبذيره ، وتمزيق صحبة ولايته وتقريره ، وحمله إلى الدولة وتسفيره ، فورد بهم على والى الشام ، **محمد باشا العظيم الهمام** ، وأتيا معا صحبة الحاج ، إلى أن قطعوا فى السير المهامه والفجاج ، ووصلوا الجرف ونزلوا به على حسب العرف فطلع إليهم عساكر المدينة ومن جملتهم **أحمد مكي** مع أغائه بكامل الزينة ، ولم يطلع **القمقمجي** وكأنه أو جس فى نفسه خيفة ، فلما لم يره الباشا سئل عنه عسيفه ، فتعذر له عنه ، فلم يكن مقبولا منه ، وأوهمه أنه مشتاق لرؤياه ، وأظهر الحقد على **ابن المكي** لما رآه وقال : إنا نفينا هذا لما عاداه ، ونصبنا ذاك وآويناه ، ويجانبنا البعاد ، وعدم التودد والترداد ، وأنا عضده ووزيره ، وعصمته ونصيره ، فلأفعلن بابن المكى من النكال زيادة على الأول القيود والأغلال ، ولا يكون ذلك إلا بحضرة المشار إليه ، ليكمل له السرور بزيادة الوبال عليه ، وحرض على مجيئة غاية التحريض ، بتصريح القول والتعريض ، فنزل إليه من يعتمد عليه ، وأشرفه على ذلك الأمر ، فطلع وعمر ، وفى الحقيقة أنه بخبايا الأمور غمر ، ولما وصل إليه ، وتمثل واقفا بين يديه قال له : قد أبطأت علينا ولم تصل سريعا كعادتك إلينا ، ونحن فى انتظارك مدة خروجنا من الشام إلى نهارك ، فتعذر له بعذر باطل ليس تحته طائل ، فقبل عذره ، وأظهر له غدره ، ثم أخرج الفرمان السلطانى ، وقرأ على رءوس الأشهاد ما بين قاص ودانى ، فكان مضمونه التعذير ، والعزل والتسفير ، والوبال لبعض جماعته والنكال ، بما يقتضيه الحال ، ولما تمت قراءته بين الحاضرين ، وأخذته رامقة أبصار الناظرين ، أخذته الرعشة والدهش ، وتمنى أن لو حمل على النعش ، وتيقن أن ليس له ناصر

ولا وقاية ، وتلا عليه لسان الحال : ﴿ فالْيَوْمَ نُنجِّيكَ بِبَدنِكَ لِتكُونَ لِمَنْ خَلْفكَ آيةً ﴾ [(١)] . وأخرج له القيود والأغلال ، فقيدوها (يحجل بهم بين الرجال فى ذلك المجال) وأخرجت الخلع والتلابيس ، وطرحت على الكتخذا **أحمد مكي** وغمر فيها إلى التلابيس وأتيا مع الباشا إلى المدينة فى الألآى هذا كالحافة به الزبانية والآخر كالباى ، وهذا فى نعمه العروس ، وذاك فى ليمه فى شدة البؤس ، وغالب قلوب الخلق متغيرة عليه لما صدر من المفاسد المنسوبة حالا ومآلا إليه وقلت :

أسدان ضرغامان كل منهما   شاكى السلاح ومضرب الأمثال
لكن من لبس الدروع مفاضة   فرق وبين مصفد الأغلال

وقلت أيضا اقتباسا من القرآن الكريم .

لنور روضة جنة   فيها قطوف دانية
ما مثلها نور اللظى   تسقيه عين آنية

واستمر عند الباشا فى العذاب الشديد ، والنكال الأبيد إلى أن بلغ من الزيارة غاية الوطر ثم الوطر ، ثم اقتعد خارج السفر ، متوجها بذلك الغمام الركام ، وأصحبه معه إلى البيت الحرام ، وقبل وصوله إلى البيت الشريف بالسرور ، وصل إليه بريد من الشريف **سرور** ، بأنك سلمه إلينا ، وإلا فلا طريق لك علينا ، فسلمه إليه ، ورجع عما عزم عليه ، وجلس إلى أن قضى حجه ، وعجه وشجه ، وتمت منادمة أنسه ، آب قاصداً مدينة قدسه ، ووصل بعد الإقامة مصحوبا بالسلامة ، وبعد أن صلحت البلاد ، واطمأنت العباد من الفساد ، ونادى منادى الحبور حي على اصطباح كاسات السرور ، وانساب سبسب شآبيب الراحة خلال الدور ، وأنوأت قزع الراحة فهزمت حالك ظلام الديجور ، وغنت الورق بأنواع الألحان على أغصان البان ، ترنم بصوته الرخيم محبنا الصديق الحميم ، المرحوم الشيخ **أحمد الجامى** الفاضل السامى وهناها بقدوم **تاج الدين إلى محمد باشا بالفرامين** ، فيالها من فرحة لو تمت وواها لمصائبها التى فى المآل عمت فإنا وإنا

---

(١) سورة يونس آية ٩٢ .

إليه راجعون ﴿ إنَّما أمرُهُ إذَا أرادَ شيئًا أنْ يقولَ لهُ كُنْ فيكُونُ ﴾ [١] .

يهنيك يا بلدة المختار من مضر ... قدوم تاج العلا بالنصر والظفرِ

ونظم أحوالك اللآتى قد انتشرت ... عقود سيرتها فى سائر القطرِ

ونفى ما حل فى ناديك من خبث ... لحيث ألقت كما قد جاء فى الخبر

حتى غدوا عبرة بين الحجيج كما ... تفريق أيدى سبا من أعظم العبر

وأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم ... ينوح فيها غراب البين بالكدر

هذا جزاؤهم بالنص حيث بغوا ... وحربوا الله والمبعوث بالسور

أليس قد أصبحت داراً لهجرته ... ومهبط الوحى مأوى العلم والنظر

فقل لمن خسر الدنيا وضرتها ... فى حربها أين أنت اليوم فاعتبر

أين الركوب الذى يقضى بأنك أن ... فى طيبة دمت لا تبقى ولا تذر

فالبعض تصلبهم والبعض تقتلهم ... والبعض قصدك نفيا لو إلى سقر

ولم تراع لأهل العلم مرتبة ... ولا لمتّشح بالفضل متزر

حتى ركبت ذلول الذلّ وانتهكت ... أستار حزبك بين البدو والحضر

أما سمعت أحاديث الوعيد أما ... قد خرقت لك آذانا بمزدجر

كمن أراد بسوء أهل كاظمة ... أذابه الله ذوب الملح فى النهر

هذا وما كانت الأقدار مسعفة ... فكيف لو أسعفت بالقصد والوطر

لكنت تمرق من ذإليه مرق سها ... م القوس فى الخلق من مثر ومفتقر

وحيث عاثت لك الآمال خائبة ... فاثبت لقهر رجال الوقت واصطبر

واعرف نتيجة خفّار الذمام ومن ... رمى به الأمل الخوان فى الخطر

ولم يبال بحامى الملك حافظه ... ظل الآله عظيم القَدر والقُدر

مقلد المنن العظمى نحور بلا ... د المصطفى عونها بالتّبر والبُتر

طوق الخلافة سلطان البسيطة من ... هابته أسد الشرى فضلا عن البشر

عبد الحميد أدام الله دولته ... وصانها من صروف الدهر والغير

واعلم بأنك لو فى أى مزبلة ... كمنت قنبش بالصمصامة الذكر

---

(١) سورة يٓس آية ٨٢ .

قرض بقرض كما أبداه مهذوكم … للرجم شاعرك المطرود فى الأثر
عن طيبة وكذا عن منبر قدما … وموقف بقيام الخمس مزدهر
وعن وقوف لقد أمسى يفضله … على الجميع بباب الحجرة العطر
أعنى به حاطب الليل المخبط فى … هجائه خبط عشوا أقرع النظر
والمدعى طول باع فى الفنون وفى … تدوينها وعلوم الأنجم الزهـر
ومن عليه أتى قول الذين مضوا … محكما صادق الدعوى بلا نكر
تُزيّن الشعر أفواه إذا نطقت … بالشعر يوما وقد يزريه ذوبخر
عبيد درهمك المحوق لا برحت … فى أصغريه رماح العى والحصر
ولا أراه بروق الحى من أضم … نافيه مبعده عن روضها النضر
مع أنه الوغد لما خاض أبحرها … دلت على أنه فى غاية القصر
وأنّ فجراً دعاه كاذب أبدا … وبرقة خلب والزنـد غيرورى
وليس يعرف أكل الزنجبيل ولا … يدرى حقيقة ذاك الطعم كالحمر
ولا لسبك القوافى من معادنها … وسبك عسجدها من بوطة [1] الفكر
بويهيم أنعـام تنـزه عن … ذوق يفرق بين الدّر والمدر
أنى له يجتنى أزهار روضتها … أو يجتلى من محياها سنا القمر
ما ناله غير ما يقضى بحطته … منها وما يزدريه بين كل سر
نعم ولوغ له فى عرض سادته … وغيرهـم بلسان ماذق مزر
بما جلته له مرآة ذاتهم … من كل وصف ذميم فيه مستتر
ولا عجيب فهذا شأن كل إناء … ناضح بكباء فيه أو قذر
وشأن من بعيوب الطبع يشهد ما … فى الكون من عالم الأشباح والصور
وإنما عنه صفحا أضربوا وأبوا … عن رميه بجمار الرجم فى الفقر
حفظا لمقدارهم من كل ناقصة … عنهم تسير بها الركبان فى المصر
وصوت دُرّهم المَكنُون خيفة لا … يضيع فى مزبلات البوم والبقر
ولو يكن فى تعاطر الهجو منقبة … أو فخرة يرتديها كل ذى حبر
لكان يسمع ما يصمى مسامعه … وما بصيرته بعمى مع البصر

---

(١) البُوطة بالضم : الذى يذيب فيه الصائغ . القاموس (بوط) ٣٤٩/٢ .

وما يصيره بين الورى مثلا ... فضيحة عزرة من أكبر العزر

لكنّ للمتنبى (*) شاهد عجبا ... يكن جوابا له أن كان عنه درى

وحسبه كونه رقا لمن رضعوا ... ثدى العلوم وأحيوا الليل بالسهر

ومن بأقبح قبح فيه خصهم ... بلا مقدمة تقضى إلى الهجر

لينجلى أنه فرخ وابن زنا ... محض وأنهما من أعظم الشهر

سل عنه من يعرفوا تحقيق نسبته ... فهم بطيبة مثل الشمس والقمر

هذا ولما أراد الله أنّ لنا ... لديه وجه قبول غير منكسر

ولا تضيع سُدى فى بابه وبه ... أضحى توسلنا عقداً من الدرر

وأن إبّان تنفيذ الأمور على ... رغم العدوّ وغمّ الكاذب الأشر

هيا لنا سببا فى حل عقدتنا ... وفصم عروة هذا البؤس والضرر

لكي نُقلب فى ظل الأمان على ... فرش السرور ونجنى لذة الثمر

وهو التصور للفتوى التى حظيت ... بخير كفولها فى الدوم معتبر

أعنى محمدا المولى الأمين على ... ما قلدته أيادى الدولة الغرر

وصالح المؤمنين القاطنين بها ... عين القلادة فيها واهب البِدَر

والباذل الجهد فى تنظيم بلدتنا ... والمنجز الوعد والإيفاء بالنذر

ومن تطوّل أبقى الله دولته ... وزاده بسطة فى العلم والعمر

بمنة الفرمانات التى نفذت ... أحكامها حين وافى عمدة الوزر

جمال وجه أولى الأراء قاهر من ... عتواعتوا وقوّى عصبة النفر

ومن كمثل نبات النّعش صيرهم ... بعد التمترى بذاك المهمه القفر

ونفذ الأمر فى تقييد راهبهم ... غب الإضاحة للفرمان حين قرى

والحال لم تنتطح شاتان منذ عليـ ... ـه الفخ أصبح بين الصحب والعشر

والى دمشق وحاميها محمد من ... به تباهت أهالى الحج والعمر

لا زال وجه التهانى من تردده ... بين الحجاز طليقا زاهر الطرر

وكم وكم من مهمات قد انحدرت ... عنها المدارك حسرى أى منحدر

(*) هذا البيت هو :

وإذا أتتك مذمتى من ناقص ... فهى الشهادة لي بأنى كامل

تخالها حين تبلوها وتخبرها … قد حاكت الفلك الدوّار فى الصور
أو أن **سعد سعود** الحظ قارنها … أو وافقت للتجلى ساعة السحر
وأصلها همة الشهم الذى ابتهجت … به المدينة حين العود من سفر
وفتحت سرعة أبوابها ومشت … مع ذيبها شاة رعى النبت والشجر
وألبست من حلىّ الأَمن أسْوِرة … وهزت العطف من تيه ومن خفر
وانهل من جيرة حَلُّوا بمعهدها … سحاب شكر اجتماع الشمل كالمطر
إذ ردّه الله مسرورا ومنجبرا … من بعد قطع فيا فى السهل والوعر
بدولة المنصب الميمون طائره … على أتم نظام غير منكدر
وهو التشرف بالفتوى وخدمتها … وعز رتبتها المرفوعة السرر
إنسان عين المعالى ورد وجنتها … وعين إنسانها الفتاك بالحور
بل قد توءم ريّاها وزرنبها … ومن بتاج حلاها الجوهري حرى
صدر الرئِاسة تاج الدين لا برحت … أيام دولته الغراء كالزهر
وسعد سؤدده لا زال ذابح من … ناواه ذبح رقاب الشاة والجزر
والله سبحانه المأمول نائله … أن لا يذوق لهاه جرعة الكدر
وأن يديم لنا إشراق غرّته … فى طيب عيش رغيد يانع زهر
وأن يمتعنا طول الزمان به … وأن يؤمنه فى السرب والحجر
وأن يصون حماه ذو الحماية من … بطاين السوء فى الآصال والبكر
وأن يوفقه ذو المكرمات لما … يحبه ولما يرضاه من وطر
ولا يضيم لنا حكام بلدتنا … حماة حومتها بالبيض والسمر
وأن يؤلف ما بين القلوب ولا … فيهم يشمت ذو بغى وذو فجر
ويجعل الأَمن هذا لم يزل ابداً … أساسه مثبت الأَركان والجدر
بمن لعينية اكرمنا وقام لنا … حظ به واعتناء غير منحصر
حامى حماة مبيد المفسدين به … أمان روعة ذي رعب وذي ضجر
المصطفى المجتبى الهادى الغيور على … بلاده من ولاة الزيغ والبطر
جزاه عنا إله العرش أفضل ما … جازا نبيا به عن قومه الخير
ودام منسكبا وبل الصلاة على … بستان مرقده المعشوشب الخضر

والآل والصحب ما الأكوان لاح لهم عجيب صنع قضاء الله والقدر
وما صفت طيبة ورداً وقيل لها يهنيك يا بلدة المختار من مضر

* * *

الفتنة الخامسة سنة ١١٩٤ أربع وتسعين بعد المائة والألف

فتنة الشريف سرور ، وما أحدثه فى المدينة من الشرور

وسبب ذلك : ما قدمناه من قصة **القمقمجى** ومعاضدته له ، ولما جاء الأمر من الدولة العلية بعزلة وأتى به **محمد الباشا** إليه مغلولا فى القيود جلس عنده مدة ، ثم أذن له فى المجي إلى المدينة المنورة وأسرّ إليه أنه يأتى لنصرته ، ولكن حرض عليه فى أن لا يحدث شيأ ما ، ولا يتعرض وأن تُعرض له ، فجاء إلى العوالى وأرسل إلى حكام المدينة يستفسحهم فى النزول إليها فاتفقوا على أن ينزلوه ، ولكن يشرطوا عليه عدم التعرض لشيىء ما ، وحرضوا عليه فى لزوم حدة وحفظ لسانه ، ثم فى ليلة السبت سنة فى محرم افتتاح سنة ١١٩٠ ألف ومائة وتسعين توفى الكتخذا **محمد فلبلى** ونصب بدله كتخذا القلعة **أبو بكر حلبي** ، واستمرت الأحوال رائقه ، والمدينة ببهجتها على سائرِ المحاسن فائقة أكثر من أربع سنين إلى أن كان يوم خمسة فى رجب سنة ١١٩٤ ألف ومائة وأربع وتسعين فما فطنوا إلا والشريف سرور ، قد وصل إلى المدينة فجأة وهم على غرور بخيله ورجاله ، وعدته وآلات قتاله ، فخرجوا إليه ملاقين ، وللعفو طالبين إلى أن نزل العنبرية ، فمكث بها ثلاثة أيام سوية ، ليفرغوا له بيوت الواجهة البرانية ، وأنزل عرضية المناخة السلطانية ، وهو مطوى على قبح النية وسوء الطوية ، فما كان بأسرع من أن دهش الناس ، وكاد أن يقع بهم البأس ، ثم اجتمعوا جمعية ، وأتوا إليه فى الحجرة الشريفة المرضية ، ووقعوا فى مراحمه وعرضه ، بأن يسمح عنهم ويحقن الدماء بعد أن قيلوا بين أرضه وقالوا له بصريح الكلام أن من كان معاد يك يعنى **الفلبلى** قد ذاق الحمام ، وصار فى الثرى رمام ، فقال لهم : عفى الله عما مضى وتجاوز عنكم ما سلف وانقضى ، فخرجوا من عنده فرحين وبالعفو مسرورين ،

واستطمن [١] الخلق بالبيع والشرا ، وحصل الأمن أمام وورا ، وأصلح بين **القمقمجى** وبينهم وقال لهم : قد استوفت كل طائفة من الأخرى وبينهم ، ومكث بالمدينة من أيام مراعيا بها الذمام إلى أن شاع أن قصده الظعن ، وأعطاهم من الإكرام عطاء معن ، إلى أن ظهرت منه الخيانة وهى من آل البيت النبوى عجب ، قبيل الزوال يوم ستة وعشرين من شهر رجب دعى جميع حكام المدينة فأتوا إليه مستطمنين [١] بالوقار والسكينة فما راعهم فى الحال إلا هَمَتْ عليهم فى مجلسه الرجال ، وكبلوهم فى القيود والأغلال ، وأتت عساكره أفواجا إثر أفواج ، كل منهم يظن ظاهره أنه الأورق إذا هاج ، وفى الحقيقة أنهم همج أجاج ، يختشى من الحرب نهارا فضلا عن الليل الداج .

جاءت جماعته العبدان مع عرب   سود الوجوه عراة الإست كالإبل

وحين ما عاين أهل القلعة هذا الأمر ، أغلق من كان داخلها عليهم الباب وعمدوا إلى الأبراج وحروا المدافع والبنادق على عرض الشريف ، وما كان بها غير نحو عشرين من الرجال ، وما بقى فأرامل لا يحصون وأطفال ، وما بقى من أهل القلعة فمستقرون [٢] على العهد ، والميثاق والوعد ، ولم يظنوا أنه مضمر على النفاق ، وقد امتطى حادة الشقاق ، والا لكان له ولهم شأن ، وأروه منازلة الأقران ، ويقال : إن الشريف لم يفعل ذلك الأمر المحيف إلا بأمر أوجب ذلك عنده ، هو الذى نكث عهده ، وذلك أن **مصطفى** بن الكتخذا **محمد قمقمجى** كان هو المتحرك لأبيه فى هذه الفتن ، وقد ساعده على ارتكاب المحن ، وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا ، ولما وصل الشريف **سرور** المدينة استنظر منه الانجاز بالموعود بأن ينتقم لهم ممن كان معاديهم وينصب والده كتخذا نوبجتيان كما أولا كان ، فلم يلح لهم من ذلك الأفق وميض بارق ، وغصوا بريق ظماء غيظهم فكانوا بين

---

(١) هذا اللفظ ليس فصيحاً والصواب أن يقال : « اطمئن الخلق » .
واطمأنَّه الرجل اطمئناناً وطمأنينة أى سكن . انظر الصحاح (طمن) ١٢٥٨/٦ ، والقاموس (طمن) ٢٤١/٤ .

(٢) فى المخطوط : « فمستغرون » .

مخنوق وشارق ، عمد مصطفى المذكور وساعده بعض أهل الغرور إلى كتاب على لسان أهل المدينة مزور مشحون بالخدع والتلابيس ، والخوض فى رحلة البهتان إلى التلابيس مضمونه من أولئك الأعيان إلى شيخ حرب قد علمت ما وقع بيننا فى بعضنا بعضا من الشرور ، وما وقع بينكم بعضكم فى بعض من مدلهمات الأمور ، وكل ذلك من وسائس الشريف سرور ، فغاية الأمر وما فيه إرغام الغمر إن أردت اغتنام الفرصة ، فهلم إلينا من خارج ونحن من داخل كى نرهقه الغصة ويصير بعدها عبرة لمن اعتبر وقصة ، ولك في عندنا غير ما تحصله منه جانبا من المال وحصة ، فلا يكون جوابك إلا المجيىء ، وقطع ذلك الغصن الردىء ونحو هذا من الخزعبلات الدالة على نفاق قائله والخرافات ، ثم عمد إلى أعرابي من الجبل قد أعطاه وأعظم له الجعل وقال له : إذا كان الوقت الفلانى تلقانى مع جماعة ناحية النقا التحتانى ، فمر بالكتاب علينا ، ولا تسلمه إنكارا إلا بعد جهد جهيد إلينا ، ولك الجعل وافرا وإن شئت خذه حاضرا ، ثم عمد إلى بعض خواص الشريف ، وقال لهم : إنكم قد استوعبتم المزارات وهاهنا قد فاتكم مقام منيف وهو مسجد السقيا فلا تفوتنكم فيه الزيارة ولو لحقتكم الغارة ، فهو مسجد عظيم ، وفضله جسيم ، فيه يستنزل المطر فيعم أهل الأضاحى والوبر ، وكم ببقيعه من صحابي جليل كأبي سعيد المقبري وغيره ومن تابعى فضيل ، ولم يزل يمثل لهم يزخرف القول وغروره حتى استولى على عقولهم بخفى أموره ، فخرجوا معه على الوعد مسرعين ، ولذلك المكان طالبين ، وحيث انتهى بهم الجلوس فى ذلك المحل المأنوس برز لهم ذلك الشيطان فى زى إنسان ، فسألوه عن المحتد وأين المقصد ، فزوى عنهم خباياه ، وفطنهم لبعض خفاياه ، فعمد إليه **مصطفى** وقال له : اظهر ما بطن من أمورك واختفى فجحد وأنكر ، واستعد للهروب وبكر ، فمسكه بالتلابيب ، وقال له : ضع عنك الأساليب ، ثم التفت إلى الجماعة الأعيان وقال لهم : هذا متخفي ولى به خبرة سابقة أنه عين من أعيان جماعة ابن مضيان ، وهو لكشف أخبار البلاد عينة ، وقد بان والحالة هذه كذبه ومينه فهلموا إليه لا يهرب فلا يسير لنا سلطة عليه ، فقاموا عليه ، وأحاطوا به من خلفه وبين يديه وأجحفوه بالضرب وهددوه بالقتل والسلب ، إنْ لم يخرج لهم ما عنده ، فأخرج

لهم الكتاب بختمه ، ففضوه وقرءوه [١] ففهموا معناه وأحاطوا على ما حواه فحواه ، ثم قام به وقاموا وسبحوا عدوا فى الضلال وعاموا ، وأتوابه قاصدين الشريف سرور

فأخرجوا له الكتاب كما هو ولما قرأه طلعت عيناه فى أم رأسه ، وكشر أنياب أضراسه ، فزادهم ذلك المفسد على البلة طينة وحط بما شاء كيفما شاء على أولئك من الهضيمة فأرسل الشريف ودعاهم ، وغدر بمن ذكرنا ، وفى ظلمات الحبس رماهم ، ولما كبس جماعته على القلعة لم يكن لهم جواب غير تسويد وجه شريفهم بالخيانة ، ورمى الرصاص فقتلوا منهم جماعة وساعدتهم العناية .

قومى إذا خاضوا العجاج حسبتهم ليلا وخلت وجوههم أقمارا
لا يبخلون بزادهم عن جارهم عدل الزمان عليهم أو جارا
وإذا الصريخ دعاهم لمُلِمةٍ بذلوا النفوس وفارقوا الأعمارا
وإذا زناد الحرب أورت نارها قدحوا بأطراف الأ سنة نارا

وليته كشف عن مكنون ذلك الكتاب ، إن صح واستبان له الخطأ من الصواب ، أو كان ذلك مكنونا فى جوف ضميره ، وذلك لاشك من علامة فجوره ، فكم ذهب فيها من صالح ، وكم دكت شم شواهق صناديد الرجال وصار أساس بناء الكل فيها طايح :

لكن جزى الله أبطالا بطيبة إذ قاموا عليه لما أبداه من دخل
خيرا كثيرا عظيما لا يعد ولا يحصى مدى الدهر والأزمان والملل

وحروا المدافع على صيوانه وجميع عرضيه وخيامه ، وبيوته التى كان نازلا بها فى الواجهة ، وأجحفوه بالرمى وهدموا عليه بعض منازله ، فخرج منها خائفا يترقب ، ونقبوا البيوت ، ونقلوا عيا له وأهله منها سوى الأموال فإنها ذهبت فى الحرق والهدم والخرق ، وحرقوا بالرمى غالب عرضيه من رجال ، وخيل وجمال ، وخيام ومحال ، وأثاث وأموال ، وصارت جماعة الشريف يعملون على القلعة أنواع

---

(١) فى المخطوط : « فقرؤه »

الخدع فيكون مرجع وبالهم عليهم وكانت هذه القلعة من بناء السلطان سليمان كما
يأتى راسخة البنيان ، شرفها يحكى نجوم السماء ، ويعصر عنه الطرف لكن دما ،
تجارى السحاب ، ويزلق الطرف فيها كأنها سراب ، يضرب بها المثل فى الارتفاع
والشهوق ، تكاد تلامس ذروة نجوم الثريا والعيوق ، فكأن الهامة لها عمامة ، أو
أنملة إذا خضبها الأصيل كأن الهلال لها قامة ، ومن جملة ذلك أنهم تسوروا عليهم
السور بالسلالم غير مرة ، وكان شيخ العبيد من خيار رجال الشريف مسرور ففطنوا
لهم وأرموا عليهم الحجارة ، فأنزلوهم إلى أن كادوا يصلون نجوم الأرض ووقعت
الحجارة على رأس شيخ العبيد فهسكت البيضة فى رأسه ، وخمدت روحه بأنفاسه ،
ثم تنبهوا لمثل هذه القضية فعملوا كشافيات مثلثة أينما حلت جلست ، وكانوا إذا
أحسوا بشيىء من ذلك أشبوا النار فيها ، ثم رموها موضع ما أحسوا ، فتكشف
لهم الرجال فينزل عليهم صب الوبال ، ويقتولهم كيف ما شاءوا ، واستمروا على
مثل هذه الأحوال مدة أيام وليال إلى ضاق الشريف مسرور ، بما وقع عليه من
الشرور وعزم على السفر ، وكان حين أغلق باب القلعة على من كان فيها كان من
جملتهم مخولى صبيا للدرويش عبد العال فضاق ذرعه ، وأخرجه على حين غفلة
من القلعة ، ففطن به من أهل المدينة ممن يميل للشريف ، فأخذه وأوصله
للشريف ، وقال له : هذا الآن خرج من القلعة وهو صبى لدرويش عبد العال
فسأله الشريف عما فى القلعة من الرجال فقال نحو عشرين مقاتل وما بقى نساء
وأتباع وأطفال فهدده بالقتل إن لم يقر بالصحيح ، ويبين ذلك بالصريح ، فقال له :
والله ما قلت زورا ولا أتيت فجورا ، فيقال : إنه ضحك مليا وقال : هذا القدر
يفعلوا فى فعل القدر ، ثم إنه حرض الرجال على اشتداد الحرب والنزال وساعدهم
كثير من أهل المدينة ممن يميل لأولئك الأرجاس ، فلم يزدادوا إلا انهزاما وانعكاس ،
وصار الشريف يحرض بنفسه العساكر ، ويبنى بيديه بروج خدع الدساكر ، فلم
يزدد إلا انهضام ويرجع هبا ما بناه من الركام ، ولما طال عليه الحال ، واشتد عليه
القتال ، قال : إننا ننام وأولئك [1] لا يناموں ، ونحن جموع مجمعة وهم شرذمة
قليلون ، وإنهم لنا لغائظون ، وإنا لجميعا منهم حاذرون ، فليت شعرى لا كان الله

---

(١) فى المخطوط : « والئك » .

عن أغرانى ، حتى هانى ما دهانى ، فلا حين عليها فلأصبرن عليها صبرا الكرام ، ولأ ناوشنهم الحرب ثلاثة أيام ، فإن كان كالماضى فإنى ذاهب عنهم وماض وإن لم أكن بذلك راض ، فنزل عليها بخيله ورجله ، وكشف عن لثامه برفع خجله ، واستمر عليها إلى وفاء وعده ، فلم يلح له برق رعده ، وكان ما استقبل أوديته عارضا فيها عذاب إليم ، وذاق بما كسب من الوبال أشد عذاب عظيم ، فعزم على السفر بعد أن شفى من خبال سقر ، وأمرهم بشد الأحمال ، وربط الأثقال خفافا وثقال ، ونادى فى الرجال : لا يأتين جنح الليل وقد بقى لكم خيط أو ميل فكان ذلك عليهم أشد مما ذاقوا ، وركضوا بجواد عزمهم فى ميدان البهتان وتوجهوا للشريف وساقوا ، وقالوا له : ما بقى إلا القليل فأعطنا كما عقدته على نفسك أولا من القيل فأبى إلا الرحيل ، ومنادمة السفر الطويل ، فزادهم ذلك صنعاً ووهنوا ووضعوا وضعاً ، وكان عند الشريف رجل مغربى تاجر يدعى بالساحر ، ولما رأى ما هم فيه من الأحوال ، وكثرة القيل والقال جاء إلى الشريف وقال له : الآن تأخذ القلعة ، ويحصل لك بذلك غاية المنعة ، وفى الحقيقة أنه عند الله وضعه ، وبأغراض نفسه الخبيثة عند الشيطان دفعه فدعى بطست قد ملأها ، وقص جلودا على صور الأودام فى لون الدما ، ووضعهم فى ذلك الماء ، وصار يتلو لهدوما وقال له : ليكن جماعتك بغاية الحضور مجموعين نواحى السور ، فإذا رأوا الرمى قد همد فليرتقوها على العمد ، فكان الأمر كما ذكر ، ولم يكن ذلك ببال بشر خطر ، فما كان بعد حصة حتى أشرق أولئك بالسحر وغصة وهمد الرمى ، وضل كل منهم عن هذه وعمى ، فخرقوا السور من ناحية باب الصغير وطلبوا منهم الأمان ، فما كان جوابهم إلا الحسام والسنان .

كأنهم فتحوا أقلاع مالطة سلوا السيوف وجاءوا شارعى الأسل

وأذرعوهم قتلا وسلبا ، وفتكا ونهبا ، وهتكوا المحرمات ، وأسروا الرجال والنبين والبنات ، وعاملهم معاملة قسوة لا تلين ، ما سمعنا بمثلها فى آبائنا الأولين ، ثم إنه جهز حوالة للمسير ، وأخذ نحو خمسين رجلا من أهل المدينة فى شرك مخاليبه أسير ، ولم يترك من النهب ما جل وقل والسلب ، ولا ممن وقع فى مخاليب اسره من الرجال سوى رجلين أحدهما عثمان سردن والآخر عمر عبد العال لكونه أصابه فى وجهه

صواب ، أضله عن سبل الصواب ، فأودعا محبوسين ، وبالنكال الأليم عند اليمن مغصوصين ، وعززا بثالث فى الحبس خادم لعمر المذكور كان لنعمته غرس إلى أن فرج الله عنهم بكرمه والمن بعد إخراج اليمن ، ولما توجه الشريف من المدينة بجنوده المرتبكة لثمان بقين من شعبان نحو مكة المشرفة وضع نحوا أربعمائة من اليمن ووضع وزيرا عليهم **محمد بن** .... [١] **العدوانى** المضايفى ، ولما وصل الشريف إلى مكة مسك بعضهم عنده فى النكال الشديد ، والوبال الأبيد ، وأرسل بعضهم على القنفدة ، وبعضهم على الهند ، وبعضهم شتتهم فى البلاد الطرائف والتلال ، واستمروا كذلك إلى أن فرج الله عنهم وأطلقهم . انتهى .

قلت : لم يحسن .

* * *

(١) بياض بالأصل مقدار كلمة .

الفتنة السادسة

فتنة أهل المدينة مع اليمن ، التى غدت حكاية فى جبهة الزمن

وذلك أنه لما فعل ما فعله الشريف سرور من عظيم المفاسد والشرور ، ولم يكتف بما فعله فى أهل المدينة من غدره بالرجال ، حتى كمل ضلاله بوضع اليمن فى هاتيك المحال ، فأحلهم قلعة السلطان يسكنوها بتمليكهم ، فكانوا على الحالين أفجر من مليكهم ، أشذاذا [1] على الأمة ، غلاظ لا يرقبوا فيهم إلاً ولا ذمةً ، بل يرسلون عليهم من نار البغى شوانها وترابطوا على المعصية والعدوان ، واستبقوا وانتظموا فى سلك الطغيان واتسقوا ، وسقوا الأمة من ماء البلايا حميما ، وجرفوهم على جرف هار المهانة والرزايا فقطع لهم صميما ، فمن جملة أخبارهم وأحوالهم القبيحة وآثارهم ، أنهم إذا مَرّ عليهم أَوْ رَأَّوا أحداً من علماء الإسلام والإيمان قالوا هذا من القسيين والرهبان ، أو عباد الأصنام والأوثان وكانوا لا يسمون المدنى إلا يهودى أو نصرانى أو وثنى ، وإذا أراد أحد يبتاع شيئا من طرف السوق يأتى بالدراهم الزائفة التى لا رسم عليها ولا عروق ، فإن ردها تسبب فى أذية نفسه ، وإن كظم غيظه وأخذها فقد استضر بفلسه ، وهذا رأيهم أبدا ، ويعطى فعالهم أمرا فضجت الناس إلى الله برفع الباس فناداهم لسان الحال ، قد آن لكم انحلال عقد الأحوال وقلت :

وما هى إلا شدة وستنقضى ويبدو مجيىء النقص عند تمامها

وقيل :

إذا تم أمر بدا نقصه توقع زوالا إذا قيل تم

ولما كان ليلة أربعة وعشرين من شهر رمضان قام بعض الرعية ، وأخذتهم النخوة الإسلامية ، واجتمعوا في بيت لهم على الانفراد لئلا يظهر لهم على المراد ،

---

(١) فى المخطوط : « اشداذاً » .

وتعاهدوا على نصرة الإسلام ، وهجم القلعة على اليمن اللئام ، ووكلوا بعضهم بعضا الخواص بتعبئة البارود وصب الرصاص ، ثم اشتوروا فى كيفية ذلك ، وكيف لنا الدخول فى مثل هاتيك المهالك ، فقالوا يعمد أحدنا إلى مجلس الوزير الكائن برأس العنبرية ، ويحرقه من غير أن يفطن به في هذه العشية ، ونحن نتزين [١] الدور الكائنة بقرب القلعة والسور ، فإذا خرج الوزير لما دهمه من الأمر الخطير ، هجمنا عليهم القلعة ، وأوصلناهم إلى أقصى القلعة ، فتموا وفعلوا ما عزموا عليه ، وانتظروا بعد تزيينهم تلك البيوت مجيىء خبر حرق الكشك إليه ، فما كان قدر فواق ، حتى دهمه ذلك الأمر انعاق فخرج راكباً فرسه ، لينظر كيف صار غثا بالاحتراق ما غرسه ، فلم يكن ببعيد من مأواه حتى جاءه بعض من نصره أولاً وآواه ، وقال له : إلى أين المسرى ، وقد دهمك البلاء من أمام ووراء ، فأخذه بيديه ورجع ناكصا على عقبيه ، ولما استطمن فى قلعته ، وأمن من روعه بعد أن أغلق عليه القلعة من بغتته ، سئل من نصحه وقمعه ، عما كاد يهلكه ونصحه ، فأخبره بكمال الصورة ، وأكنه استشعر من مرارة بعض اضطلع على تلك السريرة ، ولما رأى أولئك أنه قد خانهم التدبير وهوى بهم إلى حقيقى قعر البير ، خرجوا طالبين الفرار لأنه لا مقعد لهم ولا قرار ، فصادفوا بعد أن خرجوا من مقرهم بعض اليمن فى الحماطة على ممرهم فواحدا قتلوه وآخر سلبوه ثم صاح الصائح ألا انفروا يا آل طيبة ، وعجلوا بكامل عدتكم والعيبة ، فما صدق الناس بمثل هذا الكلام حتى خرجوا من كل حدب ينسلون كالركام ، وصارت اليمن منهم من يسلل لواذا ، ومنهم من يطلب ملجأ وملاذا ، وحشر منهم فى بئر لسبيل الحاكم المقابل الباب المصرى نحو خمسة وعشرين ظالم ، فأخرجوا وقتلوا عن آخرهم وقتلوا من وقعوا عليه ممن كان فى طرف الشريف وقطعوهم لدابرهم ، وأما ما كان من أمر الموكلين بالقلعة السلطانية من تلك الطائفة الخارجية الشيطانية ، فإنهم لما رأوا ما دهمهم من ذلك الأمر المنساب بادروا كالبرق إلى غلق الباب ، ثم طلعوا إلى الأبراج ، وأرموا هتان مناقع البنادق والمدافع على الأوعار والفجاج ، واستمروا على مثل هذه الأفعال مدة نُهُر وليال وصار يطلع لهم بعض أهل المدينة إلى بعض

---

(١) فى المخطوط : « وأتى » خطأ .

البيوت المشرفة عليهم الحصينة ، ويرمونهم منها بالبنادق فيهدمواهم الرجال وينكسوا لهم البنادق ، واستمروا معهم لمدة أيام ، وهم معهم فى شدة وآلام كل ذلك ولم يكترث بهم أحد ، بل إن الطفل صار يستجلب له النوم بصوت المدافع فى المهد ، ومع هذا لم يقتل أحد بتلك المدافع والبنادق المُنْسَاب وَابلها الهتَّان سوى بقرة وشاب أتته باردة أو آخر رمضان ، غير أنهم كانوا خائفين من مجيىء جرده من عند شريفهم أو نجده ، فاشتوروا فيما بينهم وأرسلوا لليمن بأن يخرجوا بالأمان ، فما زادهم ذلك إلا فجورا وطغيان ، فقال لهم الرسول : إنى ناصح لكم فيما أقول ، ووالله إنكم لم تذوقوا حربا ولا طعنا ولا ضربا ، فإن أبيتم أن تكونوا سنان فستذوقوا الليلة وما بعدها الحرب والطعان ، وان مدافعكم المحررة لم تصب أحداً سوى شاب وبقرة ﴿ وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ [1] ﴿ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [2] فلم يزدهم ذلك إلّا فجورا ، وركوب عميا وغروراً ، ولما وصل إلى أهل المدينة هذا الخبر كان أنكى عليهم من وكز الإبر ، وعزموا على الحرب وشدة الطعن والضرب وطلعوا فى الليل إلى تلك البيوت الشاهقة ، وأنزلوا على من بالقلعة صواعق الداهية الماحقة ، وقتلوا منهم جمعا لا يحصى ، وصوبوا من لا يدخل عدّ ولا يستقصى ، وكذلك [3] فى كل ليلة على مثل ذلك ، فصاروا ينامون واليمن لا ينامون ، وأصابهم وبال النكال إن قعدوا أو قاموا ، ثم وقعت المشورة بين الحكام بأن يحفروا الغبا تحت بعض الأطام ويفتكوا عليهم جدار السور ، ويهبوا على أولئك صرصر الشمال وريح الديور ، فجاء الخبر لليمن بما اضمروه ، فوهى جدار بنيان تدبيرهم بعد أن عمروه ، وعلموا أن لات حين مناص ، وتحققوا إن لم يعجلوا بطلب الأمان أن لا خلاص ، فأشاروا على وزيرهم بطلب الأمان ، وحرضوا عليه فى ذلك التسليم والإذعان ، وقالوا لئن لم تسلم طوعا لا طاعة لك علينا ولا سمعا ، فقال لهم : إن الجردة تأتيكم عن قريب ، فتأخذوا بثأر من قتل منكم بأوفر نصيب ، فقالوا له : لا يفيد

---

(١) سورة الأعراف آيه ٦٨ .

(٢) سورة آل عمران آية ٥٠ ، وسورة الشعراء آية ١٠٨،١١٠،١٢٦،١٣١،١٤٤،١٥٠،١٦٣،١٧٩ ، وسورة الزخرف ٤٣ .

(٣) كلمة « وكذلك » مكررة فى المخطوط

الكلام ، ولو كانت تأتينا بعد ثلاثة أيام ، وتعاين له منهم الجد والتعدى فوق الطور والحد ، فأرسل وطلب الأمان ، فأمنوه على أن يخرج بما عليه كل إنسان ، وأن يجدوا المحبوسين **عمر عبد العال** والآخر سالمين ، فخرجوا على الشرط المذكور ، وتركوا جميع ما فى القلعة مدخور ، ووضعوا فى جبخانه البارود حبلا طويلا قد اشتبوا رأسه بالقتيل تكية منهم للمسلمين لأنهم من القوم الظالمين ، فأطفوه ورجع عليهم والوبال ، وكان ذلك يوم الإثنين لسبعة عشر خلت من شوال ، من غير أن يؤذى أحد بحال فلله الحمد على أحسن حال ، وقد أرَّخ ذلك سيدى الجد **عبد الرحمن بن** سيدى الجد **عبد الكريم الأنصارى** فى بيتين فقال :

خرج الوزيـــر بشيعتـــه وقد انقلعوا قوى قلعـة
وأتى فى الحال مؤرخهم خرجوا الزيور من القلعة [1]

فمدة الحصار ثلاثة وعشرون نهارا ، ثم بادروا بالتعمير نحو خمسة أيام ما خرب من السور .

* * *

---

(١) يوجد تأريخ بعد هذه الأبيات سنة ١١٩٤ هـ .

الفتنة السابعة سنة ١١٩٤ أربع وتسعين ومائة وألف

فتنة الجردة ، وما كانت لهم بالحرة من جردة ، وذلك أن الشريف **سرور** لما بلغه ما وقع على اليمن من الشرور ، أخذته الرأفة والحنية على طائفته اليمنية واستفزته الحمية الجاهلية على مجاورى الحضرة النبوية ، فشخر ونخر ، وعبس وبسر ، وأدبر واستكبر ، وقام وقعد ثم فكر وقدر ، وقال : إن هذا لسحر يؤثر ، أبمثلى يفعل هؤلاء البشر سأصليهم سقر ، وما أدراك ما سقر ، لا تبقى عليهم ولا تذر ، لواحة للبشر ، وأرسل عليهم من نار الوبال شواظ بجنود كالليل شداد غلاظ لا يعصونى فيما به آمرهم ولا يستطيع أحد أن يعاملني بما أعاملهم لندرن عليهم مناهل المنافع ، فلتذرن الرجال آجالا والديار بلاقع ، ثم عمد إلى نحو ألف مقاتل ، ما بين رامح ونابل ، وفارس وراجل ، كاسر وساجل أظلم من سواد الليل ، يحملون مناقع المنايا والويل وعليهم الشريف **ناصر بن مستورة** ، فخرجوا من مكة بكامل العدد والعدد ، مسرعين فى السير يخدون فجاج مهامه الأوعارخد ، متسربلين بسربال النكال والبغى ومتحلين بجلباب حلى الوبال والطغى ، فلم يزالوا كذلك بين أغوار وأنجاد وقطع مهامه وأوهاد ، إلى أن قربوا من البلاد ، ووطؤا لهم فى العريض مهاد فجاء خبرهم إلى من بالمدينة من الرجال ، لست بقين من شهر شوال ، فلم يرعهم ذلك الخبر المهول ، ولم يعبأ بهم أن يذكر سيرتهم أحد ويقول ، ولما أصبح الصباح ، وأضاء بنوره ولاح ، ونادى منادي الفلاح بحيى على الفلاح شمر للهروب جيش ظلام الليل ، وأتى جيش النور عدوا خلوه مضمرا للذيل برز من خلف السور نحو ثلاثين هصور ، ليس معهم سوى خمسة بنادق وما بقى فبالعصي والبيض والسمر الخوارق العواتق استهتارا بتلك الأنذال لئلا يقال خرجوا لنا بكامل العدة والرجال ، ثم توجهوا لهم وأولئك أقبلوا ، وأخلصوا أمرهم لله وإليه تبتلوا ، فما كان دون فواق ، حتى حصل بينهم التلاق ، ودهم كل منهما على الآخر وهجم والدُّهَم ، وزحفوا على بعضهم بعضا فى حرة دشم ، وأحاط اللئام بالكرام ، وضيقوا عليهم بذلك الجيش الطام ، وأطلقوا عليهم الأعنة ، وأشاروا نحوهم بالأسنة وظنوا أنهم آخذ بهم بحسب

الظن والتخمين ، وتلا عليهم لسان ظلمهم ﴿ إِنَّا مُهْلِكُوا أَهلَ هذهِ القريةِ إنَّ أَهْلَهَا كانُوا ظَالِمِينَ ﴾ [١] فناداهم لسان حال المدنيين وتلا عليهم : ﴿ ويَمْكُرُونَ ويَمكُرُ اللهُ واللهُ خَيرُ الماكِرِينَ ﴾ [٢] .

وابن اللبون إذ ما لزفى قرن لم يستطع صولة البزل القناعين

ثم رشقوهم بسهام المنايا ، وفروهم بحسام الرزايا ، وأولوهم بجراحات الآلام شرا ونجوا منهم كما نجى تأبط شرا ، ثم عطفوا على ميمنتهم فكسروه ، وعلى ميسرتهم فخذوله وحطموه ، وعلى جناحيهم والقلب ، فأقلبوهم مع الساقة أى قلب ، واستمر بينهم الحرب والطعان ، قدر فواق من الزمان فأنزل الله نصره على المؤمنين ، وجعل كيده على القوم المجرمين ، فطلبوا الفرار وإلا فرار ، وولوا الإدبار بالأدبار .

مضوا متسابقى الأعضاء فيه لأروسهم بأرجلهم عثار
إذا صرف النهار الضوء عنهم وجاء ليل سليل والغبار
وإن جنح الظلام أنجاب عنهم أضاء المشرفيـــة والنهار
إذا فاتوا الرماح تناولتهم بأرماح من العطش القفار
يرون الموت قداما وخلفا فيختارون والموت اضطرار

وطلبوا الخلاص فلا خلاص ، وتيقنوا أن لات حين مناص ، فعادت ظهورهم درقا للأرماح ، وعواتقهم أقربة للصفاح ، وخيلهم تهوى بهم فى تلك الفيافى هوى الرياح ، وعاد إلى الظلمة ضوء نورهم والمصباح ، فكانوا كالمستسلمين يقتلوا ويسلبوا ، وكالمنهمكين فى اصطباح الغرور يهتكوا وينهبوا.

وما تنفع الخيل الكرام ولا القنا إذا لم يكن فوق الكرامِ كرامُ

وألقى الله فى قلوبهم الذلّة ، ورماهم بالعجز والقلة ، وأعلهم بكل مرض وعلة ، فرموا عن جسدهم السلاح ، وتدرعوا بجلاليب السلاح وملأوا الجو خوفا بكثرة الصياح ، وأبقوا إلى الجبال وأبقوا الغبار فى يد الرياح ، فهووا هربا فى مهامه حضيض الهزعة والقل ، وتراهم ينظرون إليك خاشعة أبصارهم من الذل ، فقطعوا

---

(١) سورة العنكبوت آية ٣١ .

(٢) سورة الأنفال آية ٣٠ .

مسافة السفر فى أدنى مدة ، وهم يتحيلون الرجال معهم من الجهات الست بكامل العدة ، ولسان الحال ينشدهم .

أين المفر ولا مفرّ لهارب إلا ظلال البيض والأرماح

فلم يزالوا يفرون تلك البداري والقفار فرى الأديم ذا الفقار ، لم يقر لهم قرار لا ليل ولا نهار ، إلى أن وصلوا إلى شريفهم إرسالا ، لا يستطيعون رفع طرفهم ولا رد سؤالا ، فاشتبهت قصتهم بمقاتلة أهل المدينة بهذا الجيش ، قصة محاربة رسول الله ﷺ ببدر كفار قريش ولما رآهم الشريف بتلك الحالة ، تيقن قبل سؤالهم بأنهم دارت عليهم المحالة ، ثم سألهم عن كامل الحقيقة بما وقع عليهم بالذرة والدقيقة فأخبروه بما صار عليهم من الهضيمة [١] ، من شرذمة أهل المدينة ، فتعجب من ذلك غاية العجب ، وتاه فى صبوح غروره والطرب ، ثم دعى من عنده من الأسرى ، رجال المدينة الأسرى ، وقال لهم مستفهما بلسان المقال ، هل تركت فى المدينة رجالا للقتال ؟! فقالوا له : إنك لم تأخذ أحدا من الشجعان ، بل من يهمد شعل نيران الحرب والطعان وكل من رأيته فى بلادنا ما بين أغوارنا وأنجادنا فلا يستطيع أحد من رجالكم أن يذكر معه ، بل ولا يرضى أن يكون عيلة عليه أو تبعه فتنفس الصعداء ، وقال : بارك الله فيهم حموا بلادهم ووفقهم الله وهدى ، وبعد مدة قليلة أطلق من عنده من الأسرى ، وكان رجوع الجردة إلى مكه ودخولهم فيها لاثنى عشر خلت من ذى القعدة .

وقال الشيخ عمر بن عبد السلام الداغستانى رحمه الله تعالى :

يا من تولّع بالتشبيب والغزل وقد صبا فى مليح الغُنُج [١] والكَحَل
باهى الجمال الذى قد حاز مبسمه عقدا من الدّر أو خمراً من العسلِ
كم ذا التصابي إلى نحو الحسان وكم تكون صبا وعنهم أنت لم تحل
تميل للغيد لا تنفك عن كلف بأهيف القد ذاك الرجح الكفل

---

(١) الهَضيمةُ : أن يَتَهَضَّمَكَ القوم شيئاً ، أى يظلموك الصحاح (هضم) ٢٠٥٩/٥ .

(١) الغُنج : الشكل ، غنجت الجارية كسمع وتغنجت وهى مغناج وغنجة القاموس (غنج) ٢٠٠/١ .

تهوى الرشاق الأولى باللحظ قد فتنوا … تفدى بروحك أهل الأعين النجل
دع التغزل فيهم كم تغازلهم … وعن مغاني الهوى واللهو فارتحل
واذكر لمن قتلوا فى طيبةٍ بطراً … ونح عليهم بدمع منك منهمل
فى طيبة المصطفى دامت معظمة … بالعز من قبل والإكرام لم تزل
كم جاءنا من حديث فى فضائلها … عن النبي الشفيع الطاهر الكمل
وكم قد أوصى بلا ريب لأمته … بحفظ جيرانه من كل منتحل
بشر لكايدها أو من أراد بها … سوء يذوب كذوب الملح فى البلل
أما سمعت بما قد صار فى بلد الـ … مختار طه المرجى سيد الرسل
من محدثات أمور أحدثت فتنا … والناس فى شغل منها وفى شغل
جاء الشريف سرور ذو الشرور بها … فى جحفل سائل قد سد للسبل
فارتاعت الناس مما قدر [(١)] أو فزعاً … وأسلموا الأمر للرحمان فهو ولي
قالوا عسى تحصل الأفراح منه لنا … ويصلح الأمر فينا غير مغتفل
فأمن الناس تسكينا لخاطرهم … من المخاوف من مكر ومن حيل
وأظهر العدل والإحسان مقتصدا … كأنه قاصد للخير فى العمل
فلم يرعنا سوى مسك الرءوس [(٢)] وقد … غدا لِقَلْعَتِنَا بالغدر فى أمل
فمنعوها رجال الحرب جيرتها … وقاوموه وليسوا منه فى فشل
فبعد ثالثة لما هُمُوا غُلبوا … قالوا الأمان وأين الأمن من ختل
لو أنهم طلبوا الكفار ما طلبوا … منه لأعطوهم التأمين بالعمل
جاءت جماعته العبدان مع عرب … سود الوجوه عراة الإست كالأبل
كأنهم فتحوا أقلاع ماطة سلوا … السيوف وجاءوا [(٣)] شارعى الأسل
فصار ما صار من سفك الدماء ومن … هتك العيال مع الصبيان والخول
ونهب أموال خلق الله وَا أسفا … وأحسرتاه على ذا المنكر الجلل
شنوا على القلعة الغرا أغارتها … بنهب أسبابها الباقى من الأول

---

(١) فى المخطوط : « رؤا » .

(٢) فى المخطوط : « الرؤس » .

(٣) فى المخطوط : « وجأوا » .

وأخرجوا أهلها منها بظلمهم … بسوء حال ، وهتك معه متصل
كم قتلوا من صناديد مكرمّةٍ … كم قتلوا من شجاع باسل بطل
كم هتكوا عرض ربات الخدور وقد … خرجن من فعلة الأوغاد والسفل
هلكى حفايا عرايا فى مكابدة … من بعدما كن فى الأثواب والحلل
أصبن فى المال والأهلين مع ولد … وفى النفوس وهذا حكمة الأزل
رجالهن غدوا أسرى كأنهم … عبيد تلك العبيد السود كالجعل
مقدار خمسين فى الأغلال قد أخذوا … وأهلهم فى عويل غير منفصل
فيالذلك من يوم قد انفطرت … به القلوب لهذا الأمر والخلل
ترى الأنام حيارى من فعائلهم … عقولهم مثل عقل الشارب الثمل
فقيدوهم جميعا فى السلاسل والأغـ … لال كالسبي تحت الذّل والخجل
وحين راحَ فى الأسواق مرّ بهم … يحذر الناس أن كونوا على وجل
فنسأل الله مولانا الكريم بأن … يفك عسرهم من فضله الهطل
فليته لو رعى للمصطفى ذِمَماً … وحرمة فعفى عن صاحب الزلل
هذا وولّى وزيراً من جماعتـــه … قليل خير عديم العقل كالوغل [1]
كثير جور عظيم الكبر تحسبه … علجا من الروم ضخما غير محتفل
أحله قلعة السلطان يسكنها … فى عسكر كقرود البر والجبل
فذا لعمرى عجيب فى الأنام غدا … يحتاج يذكر فى التأريخ والمثل
فأظهر البغى والعدوان يظلم مع … أمر عظيم على الإفساد مشتمل
لكن جزى الله أبطالا بطيبة إذ … قاموا عليه لما أبداه من دخل
خيرا كثيرا عظيما لا يعد وَلَا … يحصى مدى الدهر والأزمان والملل
فقتلوا فوق عشرين لعسكره … وقد شفوا منهم للداء والغلل
عتوا على الناس من جهل ومن سفه … وجاوزوا الحدّ فى فحش وفى خطل
قالوا سنترككم عن أهل طيبة من … طِعَانِنَا رِمَماً تحت القنا الذبل
فما مضت مدة إلا وقد تركوا … كما أرادوا بهم فى شر مقتتل

---

(١) فى المخطوط : « كالوعل » تصحيف .
والوغل : هو الضعيف النذل الساقط المقصر فى الأشياء . القاموس (وغل) ٤/٦٥ .

فأغلق القلعة الغرا وزيرهـم ... وقام يحربنا بالجد لا الكسل
فكم رَمُوا مِن مدافيع بلا عدد ... وأرعبوا لِقلوب الناس بالقلل
فما أصابت بحمد الله غير فتى ... أضحى شهيدا من الجنات فى ظلل
فحاصروه بها من بعد ما منعوا ... عليه ماء وزادا وهو فى ملل
فحينما قد رأى عجزاً به طلب الأ ... مانَ منهم فأعطوهم بلا مهل
فأخرجوهم بلا ضر ولا نكد ... مع الأمان وأجلوهم بلا جدل
فحين أسمع ذى الأخبار سيدهم ... انغاظ حتى امتلا بالهم والعلل
فأرسل الجردة التعساء لاظفرت ... لأهل طيبة فى جمع من الهمل
فقابلوهم رجال الحرب فى وشم ... فى معرك من صياح الحرب فى زجل
كم أنزلوا فارسا بالعزم من فرس ... كم قتلوا منهم يا صاح من رجل
كروا عليهم ففروا حينما علموا ... من أن قربهم يدنى إلى الأجل
وذاك فى عام ألف بعده مائه ... من قبل أربع مع تسعين إن تسل
بذاك عن طيبة قد زال ملكهم ... فهل سمعت بملك غير منتقل
لكن بحمد إله الخلق خالقنا ... جاءت لنا نجده من مالك الدول
سلطاننا الملك العالى ومالكنا ... **عبد الحميد** مليك الوقت خير ولي
منها القلوب لقد سرت وقد فرحت ... والناس ملآنة بالأنس والجذل
هبت بناديه ريح النصر عاطرة ... على الدوام مدى الأبكار والأصل
ودام فى الملك تأتينا بشائرة ... ما أهطلت سحب دمعا على طلل .

إلى أن قال رحمه الله تعالى : ثم تولى مشيخة الحرم **محمد جوهر** أغا دار السعادة سنة ١١٩٩ تسع وتسعين ومائة وألف واستمر فى المنصب إلى توفى سنة ١٢٠٣ ثلاث بعد المائتين والألف ، وفى أيامه على رأس المأتين حدثت فتنة عظيمة بين عساكر المدينة وسببها : أن بعض محبى الفتنة أشار عليه بعزل كتخدا نوبجتيان **أحمد رجب** ونصب **عبد الله مدينى** ووقعت المشاحنة بين الوجاقات وتعصب كثير من النوبجتية برد الكتخدا **أحمد رجب** وساعدهم على ذلك أهل القلعة ولما رأى الكتخدا **أحمد رجب** زيادة الحال تعفف عن المنصب وطلع إلى قباء إطفاءً لنار الفتنة ، وكان قاضى المدينة المنورة فى هذه السنة **إسماعيل أفندى** كاتب زادة وكان رجلًا مباركا ، فصار يتفوه ويقول : والله أنا حيى بالمدينة لا تقع فتنة فيها أبداً ،

فكان الأمر كذلك إلى أن توفى رحمه الله ، ففى يوم وفاته ضحوة النهار ما فطن الناس إلّا وأهل القلعة ومن فى طرف **أحمد رجب** نزلوا المحكمة السلطانية ومدرسة باب الرحمة ومسكوا المسجد وجميع ما حوله وأطلقوا على أولئك الطائفة رميا بالبنادق عاما ، وكادوا يضبطون الحارة ، وأثاروا على جميع ما بها الغارة ، ولما وصل الخبر إلى شيخ الحرم خرج من بيته مدهوشا ، وقال : اذهبوا إليهم وارضوهم بما يكون ليطفئوا نار الحرب ، فإن كان يرضيهم قتلى أسلم لهم نفسى ، وإن كانوا يسفرونى سافرت فى هذا اليوم ، فذهب إليهم وسائط الخير ، وقالوا لهم بذلك . فقالوا : كل ذلك لا نريد ، وإنما طلبتنا يسيره ، ويدنا عن طلب مثل ذلك فى حقة قصيرة بل يعزل **عبد الله مدينى** من المنصب وينصب **أحمد رجب** فقال : إيتونى به فأنزلوه من مكانه ونصبه ودقه النوبة وتوجه كل منهم إلى منزله وطفيت الفتنة فى تلك الساعة كأنها لم تكن وفتحت الدكاكين وحصل البيع والشرا ، فانظر إلى كرامة هذا القاضى ولطافة هذا الأغاء رحمهم الله وإيانا أجمعين .

انتهى ما أردت جمعه فى هذه الرسالة ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وكان الفراغ من جمعها صبح يوم الثلاثاء غاية ذى الحجة الحرام ختام سنة ست بعد الثلاثمائة والألف بقلم جامعها الفقير إليه عز شأنه : جعفر بن السيد حسين بن المرحوم السيد يحيى هاشم الحسينى المدني غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولجميع المسلمين آمين .

* * *



الفهارس الفنية

١ - فهرس الآيات القرآنية .

٢ - فهرس الأعلام .

٣ - فهرس الموضوعات .



١ - فهرس الآيات القرآنية

* * *

٢ - فهرس الأعلام

الصفحة

الصفحة

الصفحة

* * *

فهرس الموضوعات